سعدي يوسف

الأعمال الشعرية

الجزء السابع



سعدي يوسف

الأعمال الشعرية

الجزء السابع

قصائد الخطوة السابعة

منشورات الجمل

ولد **سعدي يوسف** في البصرة عام ١٩٣٤. تخرّج من دار المعلمين ببغداد سنة ١٩٥٤. عمل في الصحافة وتنقل بين عدة بلدان ويقيم اليوم بلندن. نشر العديد من الترجمات الشعرية والنثرية، وكتب القصة والرواية، ترجمت أشعاره إلى العديد من اللغات ونال جوائز أدبية في البلدان العربية والأوروبية. من أعماله وترجماته: **القرصان**، شعر (١٩٥٣)؛ **أغنيات ليست للآخرين**، شعر (١٩٥٥)؛ **قصائد مرئية**، شعر (١٩٦٥)؛ **بعيداً عن السماء الأولى**، شعر (١٩٧٠)؛ **نهايات الشمال الأفريقي**، شعر (١٩٧٢)؛ **الأخضر بن يوسف ومشاغله**، شعر (١٩٧٢)، **والت وايتمان: أوراق العشب**، ترجمة (١٩٧٦)؛ **تحت جدارية فائق حسن**، شعر (١٩٧٤)؛ **قصائد أقل صمتاً**، شعر (١٩٧٩)؛ **خذ وردة الثلج، خذ القيروانية**، شعر (١٩٨٧)؛ **قصائد باريس، قصائد إيثاكا**، شعر (١٩٩٢)؛ **كافافي: وداعاً للاسكندرية التي تفقدها**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **يانيس ريتسوس: إيماءات**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **لوركا: الأغاني وما بعدها**، ترجمة (١٩٨١)؛ **فاسكو بوبا: شجرة ليمون في القلب**، ترجمة (١٩٨١)؛ **غونار أكيلف: ديوان الأمير وحكاية فاطمة**، ترجمة (١٩٨١)؛ **أونغاريتي: سماء صافية**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هولان: قصائد**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هنري ميللر: رامبو وزمن القتلة**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **نغوجي واثيونغو: تويجات الدم**، ترجمة (١٩٨٢)؛ **ديفيد معلوف: حياة متخيلة**، ترجمة (١٩٩٨)؛ **وولي سوينكا: المفسّرون**، ترجمة (١٩٨٦).

سعدي يوسف: **الأعمال الشعرية، الجزء السابع: قصائد الخطوة السابعة**

الطبعة الأولى

خطوط الغلاف: الفنان علي عاصي

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١

ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

ديـوانُ طَـنْــجــة

(٢٠١٢)



من نافذةٍ بفندق ريتز (طنجة) – فوتوغراف سعدي يوسف

طنجـة

أجلسُ في المقهى
مقهى القدّيسةِ باولا
Café Santa Paola
منذ الصّبحِ الباكرِ أجلسُ في المقهى:
طنجةُ تستيقظُ.
لستُ أنا مَن يُوقِظُ طنجــةَ...
مَن قالَ: الـحُـلـمُ ينام؟
....
....
....
طنجةُ سيّدةُ الأنوارِ السبعةِ
أغنيةُ البَـحّــار!

طنجة، ٢٠١١/٠٦/١٦

كيسُ الخَيشِ

لستُ أدري إلى أين تذهبُ بي كلُّ هذي الأغاني؟
أحملُ الوردَ في كيسِ خَيشٍ
وأمضي به نحوَ مَن لايريدون أن يسمعوا أنّةَ الوردِ
أمضي به نحوَ نفسي التي سئِمَتْ دورةَ الحُلُمِ المستحيلِ
بفردوسِنا :
الإشتراكيّةِ
الجسدِ الـحُــرِّ
كأسِ النبيذِ مع الخُبزِ والجُبْنِ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
هاأنذا أحملُ الوردَ في كيسِ خَيشٍ
وأُلقِيهِ. . .
موجةُ بحرٍ ستحملُهُ نحوَ ساحرةٍ من زمانٍ جديــد.

طنجة، ١٨/٠٦/٢٠١١

حانةُ البِرْغُولا

ليس في «البرغولا» ما تنَفّسَ فيه اسمُـــها:
مثلاً
ليس في «البرغولا» قشّـــةٌ
أو مظلّـــةُ قشٍّ. . .
هي، فعلاً، على البحرِ
لكنها رضِيَتْ بالحياةِ بعيداً عن البحرِ.
هذا النبيذُ
وأطباقُهُ من خُضارٍ ومن سَمَـكٍ
ورِئاتٍ
سَـــيُغْمِضُ عينيكَ:
لن تُبصِرَ البحرَ. . .
فاهدأْ
ولن تبصرَ البَـــرَّ
فاهدأْ
. . . .
. . . .

. . . .

ومِن بَعدِ قنّينـــةٍ من مَـنـابذِ مكناسَ

لن تبصرَ «البِـرغولا»!

طنجة، ١٩/٠٦/٢٠١١

وَشْــمُ القرنفُلِ

بالأمسِ
حينَ دخلتُ طنجةَ، طائراً، للمرّةِ الأولى
حسِبْتُ الأمرَ حُـلْـماً:
هل دخلتُ حديقةً؟
بيتاً من الزُّلَّــيجِ والنارَنْجِ؟
غيمةَ سُـنْـدُسٍ؟
وسألتُ عائشةَ الجميلةَ:
هل سأبني هَهُنا بيتي، صغيراً، بين رملِ البحرِ والأعنابِ؟
هل سيكونُ لي أن أجمعَ الأصدافَ والأعشابَ. . .
هل سأُحِبُّ؟
هل أمضي، فأُمْضِي الليلَ من حانٍ إلى حانٍ؟
وهل سأكونُ مجنوناً بِحُــبٍّ، مثل حُبِّكِ. . .
أنتِ عائشةُ الجميلةُ
لا تقولي، الآنَ، شيئاً!
واترُكي لي قُدْسَ هذي اللحظةِ. . .
اتَّــرِكي على شفتَيَّ وشماً من قرنفلةٍ ووردٍ
ثــمّ نامي. . .

طنجة، ٢٠١١/٠٦/١٩

مَـرْتِـيْـل

لا بأسَ أن تميلَ عن تَـطـوانَ
أن تأبقَ
أن تخرجَ من كمّاشةٍ، من جبلَينِ أَطْـبَـقـا على تَـطـوانَ
منذُ ارتفعَتْ تطوانُ
بيضاءَ
حمامـةً
في قفصٍ من جبلَينِ. . .
الآنَ، لا مَنجاةَ إلاّ في انفتاحِ البحرِ
في الرملِ الذي ينقذُنا من ملمَسِ الصخرِ
في الماءِ الذي نهبطُ فيه مثل ما نهبِطُ في السَـرِّ. . .
لقد غابت، مع الهدأةِ، أطلانطسُ
نحن الآنَ في مَـرْتِـيل
بينَ الأزرقِ الأزرقِ والأبيضِ
بين البحرِ والرملِ،
وبينَ الكأسِ والأخرى. . .
حُـفـاةٌ نحنُ في بارٍ قديمٍ،

شِـبْـهِ مهجورٍ لهُ طلعةُ إسبانيّةٍ من زمنٍ أغبرَ:
تأتي قطّـةٌ
لا بُدَّ أن تأتي إلينا قطّةٌ
كي يستمرَّ الحقـلُ في دورتِهِ حتى المســاء!

طنجة، ٢٠١١/٠٦/٢٤

صباح الأحد في طنجة

في الهواء قواقعُ بحريــةٌ
رَخَويّاتُ ماءَينِ أسماهُما قومُنا الـمتوسِّطَ والأطلسيّ. . .
كأنّ قماشاً نقيعاً يلفُّ المدينةَ،
والناسُ شِبْهُ سكارى
وما هُم سكارى. . .
يقولُ ليَ الفندقيُّ: المدينةُ مخنوقةٌ.
قلتُ: طنجةُ قد أحيَت الليلَ،
والآنَ يحلو لها أن تنام. . .
ولكنني سوف أمضي إلى الشاطىء المتطاوِلِ حيثُ الـمدافعُ،
لن تتبدّى ليَ أندلُسٌ في البعيدِ:
الهواءُ قواقعُ
أمّا النوارسُ فهي التي تجعلُ الأحدَ الجهْمَ أضغاثَ عِيــد. . .

طنجة، ٢٦/٠٦/٢٠١١

فندق رِتْــز Ritz Hotel

٢٧ شارع موسى بنِ نُـصَير
حيثُ متاهةُ طنجةَ تبدأُ
حيثُ يضيقُ الشارعُ والعَيشُ
وحيثُ تَضيقُ الفتَياتُ بِـما قُدِّرَ. . .
في ٢٧ شارع موسى بنِ نُصَيرٍ
صارتْ لي الغُرفةُ ١٥!
لا أدري كيفَ وصلتُ إلى هذي الغرفةِ
مَن أوصلَني؟
مَن قالَ: هي المأوى والجنّـةُ؟
مَنْ أغلَقَ بابَ الغرفةِ ثم مضى دونَ سلامٍ وكلامٍ؟
لكني أتذكَّرُ أمراً:
أتذكّرُ أنّ محمد شكري كان هنا. . .
في الغرفةِ!
غرفتُـهُ في طابقِها الأوّلِ
وأنا أيضاً. . .
أتكونُ الغرفةُ ١٥؟
الآنَ سأسألُ:
مَن يسكنُ في الغرفةِ ١٥؟

طنجة، ٢٠١١/٠٦/٢٦

مقـهى بورت Porte Café

شـــيءٌ في هذا المقهى يجعلُـهُ مختلفـاً
مثلاً :
لن يدخلَ فيه مَـغاربـةُ الجـلاّبةِ
والباعةُ
والعمّالُ
ولن تدخلَه امرأةٌ في الخمســين!
هذا المقهى تدخله فتياتُ اللابتوب (الحاسوبِ الـمُحـتَـضَـنِ)
الفِتيانُ، أحِـبّاءُ الفتَياتِ ذواتِ الحاسوبِ المحتضَنِ
الغرَباءُ بِـطنجــةَ، مثلي
والماضونَ إلى غيرِ مكــانٍ. . .
في المقهى صُحُفٌ لن يقرأَها أحدٌ
ونباتاتٌ لن يهتَمَّ بها أحدٌ
ومَـنـاظرُ من إسبانيا، وأغان.
. . . .
سوف أجيء إلى المقهى كلَّ صباحٍ
فلَـعَـلَّ العصفورةَ تأتي
وتحطُّ على طاولتي ذاتَ صــبــاح!

طنجة، ٢٨/٠٦/٢٠١١

حـانةُ البـريد Café de La Poste

تماماً
حين تكون الساعةُ في طنجةَ ١٢
أي في الظُّهرِ تماماً
أدخلُ في الحانةِ. . .
(كنتُ تعلّمتُ أكيداً من سركون بولص أنّ دخول الحانةِ قبل الساعةِ ١٢
خطِرٌ جداً. أي أنك سوف تكونُ الـمُـدْمِنَ!)
أثمّتَ ما يُغْريكَ هنا؟
أثمّتَ مَن يلقاكَ هنا؟
قِنّينةُ مِكناسَ الحمراءُ. . . أكيداً
وجهُكَ في المِـرآةِ،
وجوهُ نساءٍ كُنَّ هجرْنَكَ. . .
لا بأسَ!
العالَمُ يلتفُّ، وحيداً، بعباءتِهِ
والحانةُ تلتفُّ:
زبائنُها هُمْ هُمْ
والأطباقُ كما كانت منذُ سـنينَ

ومحمد شُكري لم يَعُدِ. . .

❊

الحانةُ باقيةٌ
تُشْرِعُ باباً ظلَّ يضيقُ مع الأيامِ
هل الحانةُ باقيةٌ؟

طنجة، ٢٨/٠٦/٢٠١١

القصيدة العاشـرة

نحن في ليلِ طنجةَ

ندخلُ. . .

لكننا سوف نسألُ أنفُسَـنا: كيف نخرجُ؟

مثل الدروبِ التي لا تؤدِّي إلى البحرِ، طنجةُ في الليلِ. . .

ليست لديكَ خرائطُ كي تقرأَ الليلَ

أو أنّ ثَمَّ خرائطَ جاهزةً للضّياعِ:

أَقِمْ حيثما شِئتَ

قُلْ مثلَ ما شِئتَ

كُلْ مثلَ ما شئتَ

واشرَبْ كما شِئتَ. . .

لن ينفعَ الأمرُ:

سوفَ تظلُّ الـمُـضَـيَّـعَ؛

لن تهتدي بالسؤالِ عن البابِ

حتى ولو كانت البابُ أنتَ. . .

ومَنْ أنتَ؟

. . . .

. . . .

. . . .

طنجةُ قادرةٌ أن تُـذِيقَكَ كأسَ النُّعاسِ الألـيــم!

طنجة، ٢٩/٠٦/٢٠١١

إلى دوسْتَينا لافَرْن
A Dostena Lavergn

إن مضينا عميقاً مع البحرِ
في الفجرِ. . .
ماذا سنخسرُ غيرَ الذي قد ينوءُ به البحرُ من هولِ أغلالِنا؟
فلْنكُنْ في شواطيء إيجةَ
ليلاً
نهاراً
لِنُغْرِقْ أصابعَنا في نبيذِ الأغارقةِ. . .
الليلُ حُرٌّ
نذوقُ انكساراتِهِ بالأصابعِ. . .
قلتُ: أُحِبُّكِ!
لم تضحكي
لم تقولي: أُحِبُّكَ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
صدَّقْتُ أنّا مضَينا عميقاً!

لندن، ٢٠١١/٠٨/٠١

To Dostena Lavergn

If we went deep in the sea
At dawn
What we will loose but our heavy fetters?
Let us be along Aegean shores
Night
And day.
So to dip our fingers in the Greek wine
Night is free
We tasted it with our fingers.
I said: I love you!
You didn’t laugh.
You didn’t say: I love you.
*
Then, I believed that went so deep!

London, 01/08/2011

سَتراني في لندن

قالت لي دوستَينا (كنّا معتنقَينِ مع البحرِ الإغريقيّ):
سآتي
حتماً. . .
ستراني لِصْقَكَ في لندنَ ذاتَ مساءٍ
(ألسْنا ملتصقَينِ الآنَ؟)
*
لكني أعرفُ أوربّا
أعرفُ أن كلامَ البحرِ ستمحوه اليابسةُ. . .
طبعاً!
لكني سأصدِّقُ دوستَينا
ليس لأنّ البلغاريّةَ من ستراسبورغ هي الصادقةُ. . .
سأصدِّقُ دوستَينا
سأصَدِّقُها!
طبعاً!
والسببُ الأوّلُ والآخِرُ: أنّا كنّا معتنقَينِ مع البحرِ الإغريقيّ!
*
سأراها لِصْقي في لندنَ ذاتَ مساء!

لندن، ٢٠١١/٠٨/٠٨

ترتدي مَلْحَفاً

ستكون دوستَينا معي في ليل طنجةَ
سوف تحملُ ماءَ سِتراسبورغ في قنّينةٍ حتى المطارِ
وسوف تتركُه هناك
لأنها ستظلُّ تشربني
بفُندقِ رِتْز. . .
موسيقى الأزقّةِ في ليالي طنجةَ الدبِقاتِ تجعلُ ليلَنا فجراً مديداً
ليس من سببٍ لنكتمَ رغبةً في أن نقيمَ بطنجةَ البيتَ المؤجَّجَ بالرياحِ
وبالضجيجِ ونكهةِ الأسماكِ. . .
قالت وهي تدخلُ في ذراعي:
لا تَخَفْ!
إني التففتُ بِمَلْحَفِ الخفِراتِ من فتياتِ طنجةَ
فاغْتَنِمْني!

لندن، ٠٩/٠٨/٢٠١١

أغنيةُ البحار الثلاثة

في البحارِ الثلاثةِ أغمضْتُ عينَيَّ
تحتَ المياهِ التي تنضحُ الملحَ واليودَ والساحراتِ.
وفي أوّلِ الصيفِ هذا
كنتُ في المتوسِّطِ: في الـمَـضْـيَـقِ المغربيّ
كنتُ في الأطلسيّ: أصيلـةَ
في بحرِ إيجةَ: تِينوس. . .
لو قالَ لي أحدٌ إنني سوف أفعلُ هذا لَما كنتُ صدّقتُـهُ!
أنتَ أيضاً ترى عجَباً:
هل أُصَدِّقُ هذا الـمُـخبَّلَ؟
صدِّقْـهُ، أرجوكَ!
. . . .
. . . .
. . . .
هذي البحارُ الثلاثةُ
كانت سواقيَ صيفٍ ثلاثاً
ربّما أوصلتْـنـا إلى منبعٍ في القرارِ
يُهدهدُنا، أبدَ الآبدين. . .

لندن، ٢٠١١/٠٨/٠٧

تغييرُ عاداتٍ

ليس من حاجةٍ لزهورٍ على المائدةْ
ليس من حاجةٍ للشموعِ إذا ما دجا الليلُ. . .
لا حاجةٌ للحديثِ المنمّقِ
لا حاجةٌ للقميصِ الـمُـنَشّى
ولا حاجةٌ للفخارِ بِعَضِّ الأصابعِ:
مَن كسبَ الجولةَ اليومَ؟
مَن سوف يكسبُ في الغدِ. . .
لا حاجةٌ للطوارىءِ قبلَ السـفرْ
ليس من حاجةٍ للتلهِّي بمضغِ الحديثِ عن الجوِّ:
عن مطرٍ
أو رياحٍ شماليّةٍ. . .
ليس من حاجةٍ للفراشِ المعطَّرِ
لاحاجةٌ لأقولَ لها: تصبحينَ على الخيرِ
لا حاجةٌ للمجاملةِ. . .
. . . .
. . . .
. . . .

الشقّةُ اللندنيّةُ لم تَعُد البيتَ
لم تَعُد الجنّةَ. . .
الطيرُ طار!

لندن، ٠٦/٠٦/٢٠١١

العـاليـة

باريسُ في أيلولَ:

ثَمّ سحائبُ بِيضٌ، وأوراقٌ مبكَـــرةٌ تَساقَطُ

لم تكنْ ذهّباً

ولكنْ كان شــيءٌ مُتْرَفٌ فيها يقولُ بأنها ستكونُ يومـاً

رقّةً ذهباً. . .

وآهٍ للشــوارعِ!

كم مشَيتُ بها، وكم طوّفتُ

مضنىً

جائعاً. . .

لا بابَ يُفتَحُ لي، و لا محرابَ

كنتُ أسيرُ حتى الفجرِ أحياناً لأنّ مُضَيّفي لم يحتملْني ليلةً ضيفاً!

وآهٍ للمطاعمِ!

كم مررتُ بها، خميصاً، شاحباً. . .

ماذا أقولُ الآنَ؟

*

لي في شارعِ الأزهارِ
حُبٌّ. . .
لي من الـمِنَـــنِ العراقيّاتِ عاليةٌ
ودُنْـيـــا!

باريس، ٢٠١١/٠٩/١٠

مطرٌ خفيفٌ

مطرٌ باريسيٌ يَسّاقَطُ أهونَ من ريشٍ
لا وقْعَ
ولا سمْعَ . . .
ولكنَ النبتةَ في الغرفةِ تهتزُّ قليلاً قربَ النافذةِ .
النبتةُ تعرفُ، مثلي، أن المطرَ الأوّلَ يأتي بملائكةٍ :
لا وقْعَ
ولا سمْعَ
إذاً، فَلأُرهِفْ أُذُنَيَ
لعلِّي أحظى بالموسيقا السِّرّيّةِ
أحظى برفيفِ النُّسْغِ من النبتةِ عند النافذةِ. . .
الساعةُ تقتربُ الآنَ من الظُّهْرِ
وهذا المطرُ الباريسيّ يواصلُ رِحلتَهُ السرّيّةَ
بين النبتةِ
والمرْءِ الجالسِ عند الشبّاك .

باريس، ٢٠١١/٠٩/١١

لي بيتٌ لطيفٌ

تكونينَ بيتي . . .
كلّما ضِقتُ بالسُّــرى
دخلتُ ســريعاً فيكِ .
بابُكِ ضيِّقٌ
صقيلٌ
ورطْبٌ . . .
غيرَ أني أريدُهُ على ضِيقِهِ .
تلك الرطوبةُ نعمةٌ من اللهِ .
إنْ جئتُ العشيّةَ لاهثاً
زلِقتُ بها . . .
ما ألطَفَ البيتَ، جُنّتــي!

لندن، ١٧/ ٠٩/ ٢٠١١

بُولِيرو تُغَنِّيها امرأةٌ
El bolero es mujer

أغاني البوليرو الكولومبيّةُ حين تُغَنِّيها المرأةُ
تُمسي غرفةَ نومٍ زرقاءَ.
وددتُ لو اتَّسَعَ العالَمُ
لي
ولكِ،
حتى ندخلَ تلكَ الغرفةَ...
رُبّتَما فكّرتِ طويلاً
رُبّتَما أنكرتِ عليَّ الدعوةَ
واستنكرتِ.
لكِ الحقُّ،
ولكنّ أغاني البوليرو الكولومبيةَ سوف تلاحقُني
ليلَ نهارَ
إلى أن أدخلَ تلك الغرفةَ
حتى لو كنتُ وحيداً...
....
....

. . . .

مَن يَدري . . .

قد تأتين!

لندن، ١٧/ ٠٩/ ٢٠١١

الخريف الإنجليزيّ

هل أقولُ: الخريفُ؟
أقولُ... ولكنّه: الإنجليزيُّ!
لا شجرٌ سوف تسقطُ منه الفراشاتُ صُفراً تموجُ مع الريحِ
لا ريحَ تَصْفِرُ في الليلِ...
والبيرةُ البلديّةُ لن تستحيلَ نبيذاً.
لقد عَرِيَتْ فتياتُ المدينةِ في الصيفِ
والآنَ يدخُلْنَ في الصوفِ.
أغنامُ وَيْلْز ستدخلُ في الصوفِ.
تلك الحديقةُ تَبْهَتُ خُضرةُ أعشابِها حيثُ تَسّاقَطُ الكستناءُ.
وفي البُعْدِ تبدو المَراكبُ بيضاءَ تحتَ مَداخنِها.
والطيورُ تهاجرُ.
والبردُ يلمُسُ أضلاعَنا بعظام من المقبرةْ.
لن تكونَ الكنيسةُ مكتظّةً عندَ آحادِها...
والعجائزُ يمضينَ
واحدةً
إثْرَ أخرى
إلى المقبرةْ.

لندن، ٢١/٠٩/٢٠١١

بـعدَ قصفِ طرابلُس

السماءُ الرّصاصُ الخفيضةُ
تهبطُ أكثرَ
حتى تكاد الغصون التي نتأتْ تتقصّفُ.
قد همدَ الحقلُ
والساحةُ امتلأت بسَقـيطِ العناكبِ.
لا ضوءَ يومِضُ في الـبُـعْـدِ:
قد راحَ أهلُ الـمَـراكبِ. . .
هذي السماءُ الرّصاصُ الخفيضةُ
تهبِطُ أكثرَ
سورُ الحديقةِ يهبطُ أكثرَ
والعشبُ
والسّـروةُ. . .
الطائراتُ التي هبطتْ بعدَ قصفِ طرابُـلُسٍ
تستريحُ هنا. . .
. . . .
. . . .
. . . .
الآنَ يُطْبِـقُ نِصـفي عَـلَـيّ!

لندن، ٢٠١١/٠٩/٢٥

صباحٌ باريسيٌّ خفيفٌ

غادرتُ باريسَ صُبحاً . . .
كان مُنعقَدٌ من السحابِ شفيفٌ .
كان في شفتي برْدٌ ،
وبُقْيا نبيذِ الليلِ
ألْعَقُها
تيناً
قرنفلةً
ضوعاً من امرأةٍ تعبى من الليلِ
والنُّعْمى ،
وتحتَ قميصي النحلُ والعسَلُ .
أهو الخريفُ؟
الممرّاتُ اكتستْ ذهَباً يرِفُّ في الريحِ .
باريسُ التي شـرعَتْ تنأى
أُراقبُها من نافذاتِ قطارٍ :
قطرةُ المطرِ الأولى . . .
. . . .

. . . .

. . . .

تَـغِـيـمُ باريسُ!

Eurostar Train, Paris - London

04/10/2011

في مُخْتَرَفِ نُعمان هادي بالضاحية الباريسية

سوف آتي إليكَ، نُعمانُ، مستنفِداً قطارَ الضواحي
ومحطّاتِهِ. . .
وقفَ الخطُّ عندكَ.
الآنَ، هذي محطّتُنا القصوى
ومِنْ بعدِها: أينَ؟
القطاراتُ تمضي بهم. . . تعودُ
ولكنّ قطاراتِنا توقّفَت:
الليلُ مُقيمٌ، وهائمٌ بالسـوادِ.
الليلُ أعمى
وأنتَ لم تجد اللونَ الذي ترتضيهِ أكثرَ:
أهوَ السوادُ؟
أهوَ البياضُ؟
أهو ما هيّأتْ كوابيسُنا، ضِغْثاً فضِغْثاً
أم الرحيلُ المِـدادُ؟
يا صديقي، أظلُّ أسألُ:
مَن يلقي بنا، دائماً، إلى آخرِ الخطِّ؟

إلى آخرِ القطاراتِ
حيث الظلامُ، حيثُ الضواحي. . .
لفَظَتْنا مدينةُ الأغنياءِ: الجرَبُ المحضُ نحنُ
نحنُ الخرابُ. . .
نحنُ مَنْ لم نُطِقْ ملاءَمةَ الأبيضِ بالأسوَدِ
نحنُ الشُّراةُ
نحنُ الجوابُ!

*

نهبِطُ الدّرْجاتِ القليلةَ:
كان الضوءُ يخبو
والبردُ يلسَعُ أطرافَنا. . .
تقولُ: زمانٌ مَرَّ مُذْ كنتُ ههنا. . .
. . . .
. . . .
. . . .
الآنَ أذكرُ أيّاماً وعشرينَ عاماً مضتْ. . .
آنَ الشواءُ
الفتَياتُ المُغَنِّياتُ،
نبيذُ القُرى وغرغرةُ الفودكا
لقد كان في الأفْقِ المُلَبَّدِ، الجَهْمِ، نجمٌ.
هل هوى، من سمائكَ النجمُ، يا نُعمانُ؟

أمْ من سماواتِنا، كلِّـنــا؟
نحن سواءٌ.
لاتُغْلِقِ البابَ يا نُعمانُ
دعْ حُزمةً من الضوءِ تنْسَــلُّ ولو خِـلْـســةً
ألستَ الـمُـغَـنِّــي؟

لندن، ١١/ ١٠/ ٢٠١١

كنتُ أتمشّى ظُهراً

أمسِ، قرّرتُ أن أتمشّى على طولِ تلك القناةِ العجيبةِ
تلك القناةِ التي شهدتْ بدءَ حُبَّيـنِ
ثمّ نهايةَ حُبَّينِ. . .
تلكَ القناةِ التي قسمتْنيَ نصفَينِ
تلك القناةِ التي أغرقتْني. . .
قلتُ: فَلْـيَكُنِ!
اليومَ أمشي على ضفة مِثلَ حدِّ الصراطِ:
أحاولُ أن أتصالحَ
والماءَ
والعشبَ
والطيرَ. . .
كانت سماءُ الخريفِ، على غيرِ عادتها، شبهَ زرقاءَ
والماءُ أخضرَ
والطيرُ أخضرَ
والعشبُ عند الضفافِ الخفيضةِ أخضرَ. . .
مَن كانَ في البُـعْـدِ؟

مَن كان يوشكُ أن يعبرَ الجسرَ؟

. . . .

. . . .

. . . .

هل تلكُما . . . المرأتان؟

لندن، ١١/ ١٠/ ٢٠١١

دُعابـةٌ

في «شارع الأزهار»
في باريس،
فجراً أستفيقُ على روائحَ:
شَعرِ مَن أحببتُ
خُبْزِ أهِلّــةٍ من مخبزِ الحيّ الـمجاوِرِ لي
ويُدْعى في لسانِ الغالِ
Croissant
وطاسةِ قهوةٍ مُزِجَتْ حليباً.
سأُقَبِّلُ البنتَ التي أحببْتُ
سوف نكونُ كالعشّاقِ معتنقَينِ.
سوف تقول لي حتماً: صباح الخير!
سوف أرُدُّ مبتسماً: صباح الخير، ياحُبِّـي!
وأضحكُ. . .
هل نُمَـثِّـلُ؟
لا!
ولكنّ الصباحَ بِـ «شارع الأزهارِ» يبدأُ هكذا. . .
. . . .

. . . .

. . . .

هل أعجبتْكَ الحالُ؟

لم تُعجِبْكَ؟

لا تحزَنْ. . .

فَثَـمَّ شوارعُ أخرى بآخِرِ بلدةٍ غادرتَها. . .

غادِرْ إليها الآنَ

واترُكْ «شارعَ الأزهارِ» يرفلُ في مُلاءتِهِ الحريــر!

لندن، ١٢/ ١٠/ ٢٠١١

يا نبعةَ الرّيحان

يا نبعةَ الريحانِ. . .
حِنِّـــي!
إنني أمسَيتُ في الوادِ المقدَّسِ، في طُوىً
لكنني أرنو إلى غيرِ المقدّسِ
إنني أرنو إلى مَن جاورَتْني في دمي
أرنو إليكِ.
إليكِ وحدكِ: لا شــريكَ و لا شــريكةَ
إنني أرنو إليكِ
بكل ذُلّي
كلِّ حُبّي
كلِّ ما يسَعُ الأذى
يا نبعةَ الريحان. . .
. . . .
. . . .
. . . .
يا نبعةَ الريحانِ:
حِــنِّي. . .

إنني الولهانُ
حِنِّي!
الليلُ أقسى، والحياةُ أشَـقُّ إنْ لم تصطفيني
أو تَحِـنّي!
يا نبعةَ الريحان!

لندن، ١٤/ ١٠/ ٢٠١١

هل نتعلّـمُ؟

ماذا ترى من كوّةٍ في جسمِ طائرةٍ تحَــلِّقُ عالياً، أعلى من النجمِ؟

الغيومُ تكادُ تعرفُها لأنك ساكنٌ فيها
وما يبدو من البحرِ انعكاساً، أنتَ تفهمُهُ من الفيزياءِ
أمّا لُعبةُ الأشجارِ فهي من الأعالي غيرُ واضحةٍ. . .
لقد فعَلَ الـعُـلُـوُّ الفِعلةَ الشنعاءَ
ليتكَ لم تُحَـلِّقْ
لم تَطِرْ
لم تمتلكْ يوماً جناحَينِ. . .

الغيومُ جميلةٌ
والبحرُ
والأشجارُ.
فافهَمْ يا بُنَيّ. . .
افهَمْ
ولا تذهبْ بعيداً في العمــاء!

طنجة، ١٩/ ١٠/ ٢٠١١

لستُ أدري ما سأقول...

أوَ ليسَ خيراً أن يقولَ المرءُ:
إني لستُ أدري ما أقولُ؟
وكأنّ ما قد قيلَ إنْ صدقاً وإنْ كذِباً. . .
سبيلٌ آنَ يلتاثُ السبيلُ.
فلْـتفتحِ العينينِ واسعتَينِ
ولْتُرهِف مسامعكَ الرخيّةَ
ولْـتُجَرِّبْ، مرّةً، لغةَ الأصابعِ. . .
ثمّ حاوِلْ
مرّةً أخرى
وحاوِلْ
سوفَ يتّضحُ السبيلُ!

طنجة، ٢٠/ ١٠/ ٢٠١١

غيرَ بعيدٍ عن البحر

طيورُ السنونو تَـخاطَفُ فوقَ سطوحِ البناياتِ
في الفجرِ.
أفتحُ نافذتي:
صرَخاتُ النوارسِ تأتي مُـكَـتّـمةً.
أوّلُ العابرين إلى السوقِ
أولى البنات اللواتي يُبَكِّـرْنَ نحو المواعيدِ
أوّلُ صيحةِ ديكٍ...
كأنّ الصباحَ بطنجةَ يرسُمُ صورتَه، قطعةً قطعةً.
ولْـيَكُنْ!
إنّ كلَّ المرافيءِ تَنْشُـــدُ أن تَطمَـئِـنّ...

طنجة، ٢١/١٠/٢٠١١

الأزِقّـــةُ

أُحِبُّ أن أَطَّـوَّفَ النهارَ والليلَ بما تَكْـنِزُهُ طنجةُ من أزقّـــــةٍ
أزِقّةٍ منحدِراتٍ
تحملُ سَيلاً دافقاً من بشرٍ نحوَ تخومِ البحرِ
نحوَ الضفةِ الدنيا من الأندلسِ. . .
الـمُــــوَشَّحُ النائمُ يستيقظُ
والزيتونُ
والبابُ التي تنتظرُ المفتاحَ، سِـرِّيّــاً، حديداً، فضّةً
مَن أنطَقَ الخطّافَ؟
مَن أطلقَهُ؟
الأزقّةُ المنحدِراتُ ازدَدْنَ في الفجرِ انحداراً.
سوف يأتي السيل!

طنجة، ٢١/ ١٠/ ٢٠١١

نومُ الهناءةِ

لو كنتُ مشتاقاً إلى بلدٍ لَطِـــرْتُ إليهِ
أو حاولتُ أن أمضي إليه سِـــباحةً. . .
لكنني، وأقولُها صِدْقاً، سئمْتُ الشوقَ
والذكرى
ولم يَعُد الحنينُ لديّ أغنيةً.
تشابهَت البلادُ
وصرتُ أعرفُ ما سألقى ههنا أو ههنا
حتى كأني راحلٌ في راحَتَـيّ. . .
كأنني في الهضْـبةِ الصلعاءِ إيّاها.
وعاماً بعدَ آخرَ، صرتُ أمشي في شوارعَ قد مشَيتُ بها
وإنْ أدركتُ أني لم أكُنْ فيها ولو يوماً. . .
أُطِلُّ الآنَ:
هذا شارعٌ يمضي إلى بحرٍ
وهذا شارعٌ يُفضي إلى نهرٍ. . .
وهذا شارعٌ قد كان طوَّحَ بي إلى قفْرٍ
وماذا؟

سوف، أسحبُ، هانئاً، طرَفَ الـمُـلاءةِ
أُغمِضُ العينينِ
ثمّ أهيمُ، وحدي، كي أنامْ. . .

طنجة، ٢١/ ١٠/ ٢٠١١

حـــانة أزْمِرالْــدا

في شارع موسى بنِ نُصَير
حيثُ الأشباحُ تسيرُ مع الأحيــاء
وحيثُ نساءٌ يستعرِضْنَ صباحاً ما لايُستعرَضُ
والعمّالُ بلا عملٍ. . .
في زاويةٍ من هذا الشارعِ تَكْمُنُ حانةُ أزمِرالدا.
كيف دخلتُ؟
أيُّ رياحٍ دائخةٍ دفعَتْني عبرَ البابِ الضيّقِ؟
في حانةِ إزمِرالدا
أغانٍ من مصرَ، أغاني أشباحٍ قرونٍ سلَفَتْ
في حانة إزمرالدا
صحنٌ من سمكٍ خيطيٍّ، وبقايا رُزٍّ
حبّاتٌ من زيتونٍ يقطُرُ ملحاً
وحديثٌ يخفُتُ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
حانةُ إزمِرالدا
يملكُها منذُ ابتدأَ الخَلْقُ يهودٌ أندلسيّون.

طنجة، ٢٢/ ١٠/ ٢٠١١

بعدَ أن انتصفَ الليلُ

لك، أن تهدأَ الآنَ. . .
لا تَقُل: الليلُ في طنجةَ اليومَ، كالليلِ في لندنَ.
الناسُ في المرفأِ المغربيّ يحبّونَ
والناسُ في منتهى لندنٍ يكرهونَ. . .
لو أقمتَ بلندنَ قَرناً فلن تنظرَ امرأةٌ ملءَ عينيكَ
لن يسألُ الجارُ مَن أنت؟
ما اسمُكَ؟
من أيّ أرضٍ. . .
ورُبّتَما فكّرتْ مَن حسِبْتَ الحبيبةَ أن تقتلَكْ!
إذاً،
لك أن تهدأَ الآنَ. . .
قُلْ: إن طنجةَ، والـمُلْكَ، لكْ!

طنجة، ٢٣/ ١٠/ ٢٠١١

الأنــيــنُ

من الغرفة التي تجاورك
سمعتَ الأنينَ العالي لامرأةٍ تضاجَعُ. . .
ربّما استمرَّ الأنينُ المتلذِّذُ نصفَ دقيقةٍ
نصفَ دقيقةٍ، حَسْبُ
لكنّ ليلَ الفندق
لم يَعُدْ كما كان.
هاأنتذا تعود إلى سنةٍ مضتْ
سنةٍ في فندقٍ كهذا الفندق
في ليلةٍ ليستْ كهذه الليلةِ الموحشــةِ
وهاأنتذا تتذكّرُ
كيفَ حاولتَ أن تكتمَ براحةِ يدِكَ
أنينَ ضجيعتِكَ الذي اصّاعَدَ صُراخاً!

طنجة، ٢٣/ ١٠/ ٢٠١١

لَـيـلِـيّـةٌ

في السبتِ مساءً
توقِدُ طنجةُ مصباحاً أحمرَ،
مصباحاً يصبغُ أغوارَ البلدةِ والحاناتِ بلونٍ أحمرَ
ليس مهمّاً أن تدخلَ في هذا البارِ
أو الدربِ. . .
اللونُ الأحمرُ سوف يظلُّ اللونَ الأحمرَ
يطفحُ في الكأسِ
ويطفحُ في خدِّ البنتِ
ويطفحُ حتى في أشجارِ الشارعِ. . .
لكنك لن تمضي أبعدَ في اللونِ الأحمرِ
اللونُ سيمضي بكَ
نحوَ نهايتِكَ:
النومِ، عميقاً، في الشارعِ
تحتَ المصباحِ الأحمر!

طنجة، ٢٣/ ١٠/ ٢٠١١

مقهى الحافة
(تأسّسَ سنة ١٩٢١)

مثلَ مصاطبَ في تلٍّ
ينحدرُ المقهى نحو البحرِ. . .
ويوشكُ أن يسقطَ في البحرِ
ليأخذَ فتيانَ المقهى والفتَيَاتِ إلى الضفةِ الأخرى.
إسبانيا تتبدّى في الأفقِ المتلبِّدِ
لكنّ المقهى
سيظلُّ يخَدِّرُ مَن يدخلُهُ بروائحَ من جنّتِهِ:
نعناعٍ
وحشيشٍ ريفيٍّ
ودخانٍ بلَديٍّ. . .
وعطورٍ داكنةٍ من آباطِ الفتَياتِ.

طنجة، ٢٣/ ١٠/ ٢٠١١

مشــروعٌ

مَنّيتَ نفسَكَ أن تكونَ مع الجميعِ
وإنْ أردتَ ظللتَ وحدَكْ.
لكنّ ما لاقيتَ في الغُرَفِ الغريبةِ، عبرَ هذا العالَمِ الهمجيّ:
لستَ مع الجميعِ
ولستَ وحدَكْ!
. . . .
. . . .
. . . .
أبْـشِـــــــــرْ!
فقد جاءتْكَ رحمتُـــــهُ. . .
وقد ارتدَتْ، هفهافَ قُطْنٍ، صورةَ امرأةٍ.
أتعرِفُ؟
سوف تلتَمُّ الخيوطُ.
ولن يكونَ عليكَ إلاّ أن تُمَـيِّـزَ بينها:
أن تهتدي باللونِ والرؤيا
ليتّضِحَ السبيل!

طنجة، ٢٣/ ١٠/ ٢٠١١

منخفَضٌ جوّيٌّ

منذ الفجرِ ابتدأَ المنخفَضُ الجوّيُّ
وفي الغرفةِ أحسستُ بأنّ هواءً مختلفاً يدخلُ في رئتَيَّ...
لم أتحرّكْ
لازمتُ فراشي...
لكني أحسستُ بأنّ رياحاً شرعتْ تدفعُني نحو النافذةِ
الصبحُ يُلَوِّحُ
سرتُ إلى النافذةِ.
الشارعُ يغتسلُ
وسماءٌ بيضاءُ، ومثقَلةٌ، تهبِطُ.
كنتُ وحيداً.

طنجة، ٢٤/ ١٠/ ٢٠١١

طريقٌ مسـدودٌ؟

تقول لي: لم أعُـدْ أُسْمى. . .
كأنكَ صرتَ اسمي وجسمي!
كأنّ اللهَ صوَّرَنا في لحظةِ الحُبِّ ملتفَّينِ. . .
أنت ترى!
ماذا سأفعلُ في باريسَ؟
لستَ بها!
إذاً سأرحلُ عنها. . .؟
اينَ؟
أنتَ ترى؟

طنجة، ٢٤/ ١٠/ ٢٠١١

خبزي خبزُ الفقيرِ

أحبُّ موائدَ الفقراءِ
أمشي إلى أحيائهم، وأكونُ حُرّاً
ومنتشياً مع الفقراءِ...
طنجةُ هُمْ
وليس السَراةُ الآخـرون سوى هشيمٍ ستذروه الرياحُ...
أليسَ خبزُ الفقيرِ ألذَّ؟
كم أشقى إذا لم أجدْ خبزي مع الفقراءِ!
طنجةُ للفقيرِ!

طنجة، ٢٠١١/١٠/٢٤

الفلاسـفة

في استعلامات الفندق (حيث أقيمُ) فلاسفةٌ
أحياناً يصْغون إليّ
لكني أُصغي، دوماً، لهمُ:
الأخبارُ. كلام السوقِ. فساد الساسةِ في زمنٍ ما
(وإلخ. . .)
لكنّ فلاسفةَ استعلامات الفندقِ
جاؤوني أمسِ بما أرعبَني.
قالوا: إن البحر سيُغرِقُ طنجةَ بدءاً من مَسْمكةِ المرفأ
(في اليوم الأوّلِ)
حتى ما يدْعوه القومُ مُصَــلّى
(في اليوم السابعِ)
قلتُ لهم: طنجةُ عاليةٌ
لن يُغرقَها البحرُ. . .
سألوني: هل طنجةُ عاليةٌ حقّــاً؟

طنجة، ٢٥/ ١٠/ ٢٠١١

الحديقة العامّة

في الحديقة العامّة، غير بعيدٍ عن البحر
يجلس العاطلون عن العمل
ويجلس معَوَّقٌ واحدٌ.
لا عصافير
الشجرُ عميق الخضرة
والشمسُ تنفجرُ بين الغصون الكثيفة.
في الحديقة العامة لا تجلس النساءُ
ألأنّ الوقت ما زال ضحىً؟
أنا أيضاً أجلسُ.
انا عاطلٌ عن العمل
مُعَوَّقٌ.
وفقيرٌ.

طنجة، ٢٥/ ١٠/ ٢٠١١

للعقيدِ مَن يُكاتبُهُ

«القصيدةُ مهداةٌ إلى العقيد المتقاعد الهاشميّ الطَود ساكنِ أصيلةَ»

كان العقيدُ الهاشميُّ يقيْمُ في «وادي المخازنِ» خيمةً لقيادةٍ. . .
كانت هناك مدافعٌ أولى
غنائمُ من مناوَشةٍ جرتْ من قبلِ أسبوعَينِ.
أمّا البرتغاليّون فانتظَروا. . .
أرادوا أن ينالوا النصرَ، سهلاً، بالمدافعِ
(آلةِ الحربِ الجديدةِ)
والعقيدُ الهاشميُّ أقامَ خيمتَهُ
وقالَ: سِباستِيانُ البرتغاليّ الغنيمةُ
سوفَ يُقتَلُ
سوفَ أقتلُهُ هنا. سيموتُ في «وادي المخازنِ»
نحن مِلْحُ الأرضِ
أحرارٌ مغاربةٌ
وسوف نظلُّ أحراراً مغاربةً.
ملوكُ البرتغالِ، سيعرفون الآنَ مَن نحنُ. . .

الحُسَيمةُ
والشواطىء في أصيلةَ
والمدافعُ
كلُّها. . .
وسِباستِيانُ البرتغاليُّ. . .

طنجة، ٢٦/ ١٠/ ٢٠١١

حـقيـقـةٌ

هل تظنُّ السماءَ، بطنجةَ، سوف تظلّ سماويّةً؟
ربّما. . .
وبما أن ريحَ الخريفِ تناوحت اليومَ
صرتَ تسألُ.
مَن قالَ إن الخريفَ المُـوَدِّعَ سوف يكونُ ربيعاً؟
أنت تعرفُ
كالناسِ
كيف الفصولُ تجيءُ مكبّلـةً بقوانينِها.
أنت تعرفُ. . .
والآنَ؟
كيفَ تظلُّ السماءُ سماويّةً؟
إن طنجةَ ليستْ سوى لحظةٍ للذهول!

طنجة، ٢٦/١٠/٢٠١١

السماءُ والطّارق بنُ زياد

أيكونُ أبحرَ طارقٌ من طنجةَ؟
المطرُ الخفيفُ توقَّفَ
البحرُ استَتَبَّ كأنه نَـمِـرٌ ينامُ
وأنّ كفَّ اللهِ قد شـرعتْ تـُمَـسـدُهُ. . .
النوارسُ أقبلَتْ:
قططاً مجنّحةً وجائعةً تولوِلُ في سماءِ الفجرِ.
تبدو في البعيدِ «طريفُ» أقربَ
ربّما مرمىً لسهم. . .
ربّما حَجَرٌ سيبلغُها!
إذاً:
أيكونُ أبحرَ طارقٌ من طنجةَ العليا؟
أتكون خطبتُهُ هراءً؟
ما كان كذّاباً. . .
فأيُّ سفائنٍ قد أُحرِقَتْ إنْ كان يقدِرُ أن يعودَ سباحةً؟
أيُّ الرجالِ سيصنعُ التاريخَ؟
أيُّ القول؟

طنجة، ٢٧/ ١٠/ ٢٠١١

صباحٌ أليفٌ

بعدَ كلِّ الجحيمِ السديميّ في غيمِ لندنَ
تبدو السماءُ الـمُـعَـرّاةُ، في طنجةَ، المستحيلَ!
أُطِلُّ من الغرفةِ:
الشارعُ الآنَ يَلْـصِفُ بالنورِ
والناسِ
والباعةِ الجائلينَ
ويلْصِفُ بالفتياتِ اللواتي غذذْنَ الخُطى
نحو مدرسةٍ. . .
قلتُ: ظلّتْ غيومٌ من الأطلسيّ تَنَزَّلُ في الليلِ
كي تصنعَ الصبحَ أبهى.
سوف أحملُ نفسي إلى البحرِ
احملُ عبئي إلى البحرِ. . .
ثم ألوذُ بما يتراءى من البُعْدِ في الضفةِ النائيةْ!

طنجة، ٢٧/١٠/٢٠١١

المغربيّ يقول...

خالد، القادمُ من «الناضور» إلى طنجة
والذي يسكن في أوتيل ريتز العتيد، حيث أسكن
خالد، قال لي وهو يُعَرِّفُ نفسَه: أنا من الريف المخيف!
لم أسأله لماذا رأى الريفَ (ريفَه) مخيفاً.
أنا عرفتُ ريفَ خالد:
وجدة
بَرْكان
الناضور
مليلية طبعاً. . .
ريفُ خالد كان ريفي أنا، أعواماً وأعواماً. . .
ريف خالد هو ريف عبد الكريم.
الإسبان استعملوا الغازَ السامَّ الألمانيّ ليقتلوا أهلَ خالد
ليقتلوا حُلمَ عبد الكريم.
لكن «خالد» هنا
خالد معي
في أوتيل ريتز.

الريفُ معي، في أوتيل ريتز.
الريف...
الريف...
الريف المخيف!

طنجة، ٢٧/ ١٠/ ٢٠١١

القـطـط

أهلُ طنجةَ، من شأنهم، أنهم يعبدون القططْ
يفرشون لها في الشوارعِ
يُسْـــمونَها خيرَ أسمائهِم
وينامون بين القططْ.

والشوارعُ مكتظّةٌ بالقططْ
وهي تلبسُ أبهى سـراويـلِـها
وتُبادِلُكَ النظَراتِ الغلَطْ

أهلُ طنجةَ يصطحبونَ القططْ
في الـمَشاربِ
أو في المقاهي
وفي عُلَبِ الليلِ، حيثُ تموءُ القططْ.

فإذا أقبلَ الصيفُ
كانوا معاً في الشواطىءِ، حيثُ القططْ

تركبُ البحرَ
أو تتكلّمُ بالعربيةِ
أو تتثنّى، مُـنَعَّـمةً، كالقططْ!

هل تكون معي
في فراشي بلندنَ. . .
إحدى القططْ؟

طنجة، ٢٨/ ١٠/ ٢٠١١

قصائد الخطوة السابعة

الاختنــاق

ربما في صباحٍ سيأتي قريباً (لِـنَـقُـلْ بعد خمسين عاماً وأكثرَ)
أمضي (كما يرجعُ الجدولُ الجبليُّ إلى نبعِهِ)
نحوَ بيتي.
ليس لي (في الحقيقةِ إنْ شِئتَ) بيتٌ
ولا بَعضُ بيتٍ
(أُحِسُّ هنا بالسعادةِ).
لكنني أتوَهَّمُ أنّ هناك، بأقصى الأقاصي، بلاداً تُسَــمّــى العراقَ
وأنّ بها بشــراً يسكنونَ الشــواطيءَ والقَـفْـرَ
أنّ الهواءَ بها ليس يقتلُ مَن يتنفّســهُ...
أتوهَّــمُ هذا
وأسكنُ في حافةِ الوهمِ...
حتى إذا حانَ حيني اســترحْتُ؛
فلا جدولٌ جبليٌّ يُراجِعُ منبعَهُ
لا بلادٌ تسَــمّى العراقَ،
ولا ملعبٌ للثعالبِ والأيَلِ المتواثبِ
لا نســمةٌ في الهواء...

لندن، ٢١/١٢/٢٠٠٩

أغنيـةُ الـغَـنِـيِّ بِما اقتَنى

اليومَ يومُ النبيذِ
ابتعتُ خابيةً:
عشراً
فعشــرينَ. . .
حتى لم يَعُدْ، شططاً، فِلْسٌ لديَّ
كأني الواحدُ الأحَدُ!
أقولُ: إنّ الذي يُرْجَى، وليسَ يُرى
مُخَبّأٌ.
إنَّ عُـمْـقَ الطائفِ الأبَــدُ. . .
ما أهونَ العيشَ!
لكني أُداوِرُهُ،
وأدَّرِيهِ
وأدري بالذي أرِدُ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
اليومَ يومُ النبيذِ!

لندن، ٢٠١٠/٠٣/٠٨

إضرابُ بَحّـارةٍ

ربما كان أوّلَ إضرابِ بَحّارةٍ في المياهِ التي تتسوّرُ أرضَ العربْ
كان إضرابَ بَحّارةٍ في مياهٍ عراقيةٍ
كان إضرابَ بحّارةٍ بين مِلْحِ الخليجِ وسَلْسالِ شطِّ العربْ. . .
أتذكّرُ عَمِّي: حميدَ الشهابِ،
حميدَ الذي لم أزلْ أتمَثَّلُـهُ كالفتى. . .
قالَ:
كنّا وحيدينَ بين الرصاصـةِ والبحرِ.
لا أتذكّرُ ما قالَ عن سـجنِـهِ. . .
كان أصغرَ أعماميَ.
الآنَ أسألُ: مَن يتذكّرُ إضرابَ بَحّارةٍ غير عمّي حميـد الشهاب،
غيرَ عمّي حميد. . .

لندن، ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٩

أجراسُ الـميلاد

لم أسمع الأجراسَ. . .
قد أرهفْتُ ســمعي طولَ ليلٍ لا يكادُ يزولُ
لكنْ، ولأَقُلْ ما قُلْـتُـهُ، لم أسمع الأجراسَ. . .
كان الليلُ يثوي هـامداً
لا ريحَ في الدَّغْلِ القريبِ
ولا نُباحَ
ولم تُرَدَّدْ صيحةٌ من أيّ طيرٍ؛
والبحيرةُ أعتمَتْ.
لم أسمع الأجراسَ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
في الفجرِ كان ندىً على عشبِ الحديقةِ
ثعلبُ الدغْلِ القريبِ أتى،
وسنجابٌ
ونورسَتانِ جائعتانِ،
ثمّتَ عقْعَقٌ يدنو. . .

وطائرُ تَدْرُجٍ،
والشمسُ تومِيءُ. هل أراها؟

. . . .

. . . .

. . . .

أسمعُ الأجراس. . .

لندن، ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٩

أتمَشّى بمحاذاةِ القناة

أتمشّى، وأُمسِكُ في كلِ كفٍّ عصــا!
عصَوانِ تقودانِــني. . .
البَطُّ والـوَزُّ يمرحُ
والسمَكُ الـحُـلْــمُ في القاعِ.
أمشي بلا هدفٍ
قد، وقَد، أبلغُ الجســرَ
أو ساحةَ القريةِ. . .
الشمسُ لم تَبْــدُ حتى ولو لحظةً
والغيومُ التي تَـتَـهَـدَّدُنا بالسيولِ استكانتْ إلى هدأةِ العَصرِ،
أمشي
ولكنّ كعبَ حذائي رصاصٌ.
وأمشي
ولكنّني لستُ أخطو. . .
. . . .
. . . .
. . . .
سأمضي، إذاً، حافياً!

لندن، ٢٠٠٩/٠٩/٠٧

أبسطُ من سـؤالٍ

لن يكون المساءُ جميلاً
ولا طيرُهُ...
أنا أعرفُ هذا
ويعرفُ ما أعرفُ الطيرُ.
حتى النوارسُ غامتْ مجسّاتُها فتوهّمتِ النهرَ بحراً
بل هي، الآنَ، تنقرُ عشبَ الحديقةِ!
ما ذا سأفعلُ؟
إن أخطأَ الطيرُ كيفَ أكونُ الـمُصِيبَ؟

لندن، ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٩

النَّـذيـرُ

تظلُّ تحفرُ في الساعاتِ، رُبّتَــما أصبْتَ في غفلةٍ منهنَّ واحدةً
أو اثنتَينِ، ومَن يدري. . . لعلّكَ في ما لا تريدُ ترى ما المعدِنُ
الذهبُ
أنت الـمُكَـلَّفُ بالبلوى: ترى شَبَــهاً في ما يُرى ذهباً. أنتَ
الأمينُ على الوردِ، الأمينُ على ما يجعلُ الكونَ ورداً. حيثما اتّجهتْ
خُطاكَ صرتَ طريقاً. حِـرْفةٌ عجَبٌ. والآنَ في صُبحِكَ العــالي
ألستَ ترى أنّ الضحى آفلٌ كالليلِ؟ أنّ سياجاً في الحديقةِ لا يكفي
ليدفعَ عنكَ الـنَّسْرَ. أنتَ، وإنْ أقمتَ في الوهْدِ صارَ الوهـدُ
رابيةً وقلعةً.
لا تَهِــنْ
واقْرَعْ مع الفجرِ صنجاً أنتَ تَذْخَرُهُ
كي توقظَ الـنُّسْغَ في ما ماؤهُ خشَبُ. . .

لندن، ٢٠٠٩/٠٦/٢٣

الطبيعةُ

«سيمفونيةٌ صيفيةٌ»

للهواء الرطوبةُ
تلك التي لمخاضاتِ شـرقيّ كَمْبودِيا.
والغيومُ معلَّقةٌ بالكلاليبِ
والعشبُ يبدو صبيغةَ عُشبٍ.
وما كان أمسِ غصوناً، بدا حَجَراً كالغصونِ.
الدقائقُ تضغطُ
حتى لَتشعر أن ضلوعَكَ قد تنثني.
القلبُ لا ينبضُ
الطيرُ غابَ...
السماءُ التي تَدَّني سوفَ تُطْبِقُ.
لا ترتجفْ!
أنتَ عَوَّدْتَ نفسَكَ أن تكتفي بالقليلِ القليلِ
وإنْ كان ذاكَ القليلُ هواءً...
تَلَبَّثْ!
....
....
....

لَكأنّ كَفّاً ضخمةً في الشرقِ تدفعُ هامِـدَ الغيمِ.
الغيومُ تنوءُ، مثقلَةً، وتَرجِفُ: إنه الرعدُ الـمُباغِتُ.
فجأةً، وبلا كلامٍ أو سلامٍ، تهطِلُ القطَراتُ، دافئةً
كِباراً. تسمعُ النبتَ؟ انتبِهْ! للنبتِ أغنيةٌ. أتسمعُها؟
أتعرفُ أينَ صارَ الطيرُ؟ لم تَعُدِ الحديقةُ مثلَ ما كانتْ.
وبيتُكَ لم يَعُدْ بيتاً... لقد أمسى حريراً شاخصاً...
هل أنت تسكنُهُ، أَم البيتُ الذي قد صارَ يسكنُكَ؟
اطمَئِنَّ!

....

....

....

مع البرقِ، من جهةِ الغربِ، جاءتْ بُحيرةُ سطحٍ
مُعَـلَّقةً.
والبحيرةُ زرقاءُ. تطفو مع الغيمِ أبيضَ. برقٌ شفيفٌ
ونسمةُ صيفٍ. رأيتُ السنونوَ يخْطِفُ عَبْرَ البحيرةِ.
رَقَّ الـمطرْ.
صارَ ماساً على الورقِ المترنحِ والزهرِ.
غيمٌ خفيفٌ
نثارٌ لوردٍ خفيفٍ.
لك الآنَ أن تستكِنّ!

لندن، ٢٠٠٩/٠٦/٢٧

النحلُ يزورني

على قميصيَ حطّتْ نحلةٌ،
وأتتْ من بَعدُ أُخرى. . .
وكان الزهرُ مؤتلِقاً يُتَعتِعُ الزانَ والبستانَ.
كيف أتى النحلُ العجيبُ إليَّ؟
مائدتي محدودةٌ:
خبزةٌ
جُبْنٌ
وطافحةٌ بها نبيذٌ فرنسيٌّ. . .
أيقصدُها النحلُ؟
الغريبُ في الأمرِ أن النحلَ ملتصقٌ على قميصي. . .
ومِلْحاحٌ.
أيعرفُ أن الكونَ تحتَ القميصِ. . .
الشُّهْدَ
والمنتهى
تحت القميصِ،
وأن الطّلْعَ يضطربُ؟

لندن، ٠٨/٠٨/٢٠٠٩

الخريف العاشــر

منذُ عشــرٍ، هنا في مُقامي، أراقبُ هذا الـخريفَ الـمُبَكِّـرَ:
أرقَبُ أُولى فَراشاتِ أوراقِهِ، وهيَ تَـسّـاقَـطُ. الزّهرَ إذ يتململُ
مرتبِكاً
والطيورَ التي لم تَعُدْ تتصادَحُ في الفجرِ. لونَ السياجِ الذي
يتبــدّلُ. . .
قد صارَ لي، منذُ عشرٍ هنا، منزل ٌصارَ لي في ارتحالِ السـحائبِ
بابٌ
ومفتاحُ بابٍ. وغرفةُ نومٍ تُطِلُّ على شجرٍ يتطاولُ عندَ البحيرةِ. قد
يهبطُ
الليلُ مثلَ الرصاصِ كما اعتادَ أن يهبِطَ الليلُ. لن يُمَسِّيكَ بالخيرِ
حتى السكارى
ولن تَطْرقَ البابَ حتى التي كنتَ أحببتَها. أنتَ تغفو وتعرفُ أنك
في برزخٍ
لستَ تغفو. أتعرفُ ما لونُ شَعرِكَ في الـحُلْـمِ؟ ما لونُ أسماكِ نَـهرِكَ
في الـحُلمِ؟ ما لونُ ثوبِ الفتاةِ التي رضِيَتْ أن تُقَبِّـلَـها قبلَ ستينَ
عاماً؟
لقد نزلَ الفأسُ في الرأسِ. . .

لستَ الوحيدَ الذي يتساءلُ. . .
لستَ الوحيدَ الذي لا يرى في الليالي الطويلاتِ. . .
لستَ الوحيد!

لندن، ٢٠٠٩/٠٩/٠٥

تشخيصٌ

باطنُ كفّي اليمنى، يحضِنُ ظاهرَ كفّي اليسرى
وأنا المتكمِّشُ بَرْداً أُسنِدُ رأســي، تعبانَ، إلى صدري. . .
ساقايَ تَخَشَّـبَتا
والقَدَمانِ تَلَـبَّـثَتـا
لا أملِكُ أن أُتْلِعَ عُنْقـاً
أو أُومِي. . .
مَن أسألُ أن يُدرِكَني وأنا أوشِكُ أن أتَطَوَّحَ في البئرِ؟
الليلُ الـمُطْبِقُ يُحْكِمُ أنشــوطتَـهُ أكثرَ،
والأشجارُ الســودُ (أرَدِّدُ حتى الأشجارُ السودُ) تغيبُ عن الصورةِ
والـبـحـرُ الـمـتـموِّجُ في إحدى لـوحـاتِ الـحـائطِ يـدخـلُ فـي طَـورِ
سُباتٍ. . .
لا صوتَ. . .
هنا.
لا صوتَ. . .
هل القبرُ هو الفردَوس؟

لندن، ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٩

تـدقيـقٌ

لوحُ زجاجٍ في نافذتي
في اللوحِ إطارٌ أبيضُ (يبدو لي أسودَ).
أجلسُ، متَّكئاً، وأراقبُ:
في اللوحِ غيومٌ ثابتةٌ
وأعالي شجرٍ تهتـزُّ.
خطوطُ الفضّةِ آتيةٌ مـمّـا ترسلهُ مدرسةُ الطيرانِ إلى الأعلى.
واللوحُ (كما في الدرسِ الأوّلِ)
كان ثلاثةَ أقسامٍ:
سقفُ الـمبنى، حيثُ السجناءُ (وأعني نحنُ) هو الثلثُ الأوّلُ
أمّا الثلثانِ. . .
أحاولُ أن أدخلَ، ثانيةً، في ما كان
دخولي الأولَ
لحظتيَ الأولى. . .
الآن
أعالي الشجرِ اهْـتَمَدَتْ ساكنةً
وتحرَّكَ، في الأفقِ الملموسِ، الغيم. . .

لندن، ١٩/٠٦/٢٠٠٩

تحـيّـةُ الـعَـلَـمِ

في ساحةِ مدرسةِ المحموديّةِ
في الصبحِ
نحيّي العلَمَ الوطنيَّ (أعودُ إلى سبعينَ خلَتْ).
كنّا ننشِــدُ:
يا أوروبّا لا تُغالي
لا تقولي: الفتحُ طابْ
سوف تأتيكِ الليالي
نورُها لَمْعُ الحِراب . . ؛
يا أوروبّا!

*

الآنَ
وفي لندنَ (بعدَ الأعوامِ السبعينَ)
وبعدَ غرامِ الموسيقى وغرائمِها،
أعرفُ ما كنّا نُنشِدُ،
كنّا نُنشِــدُ
ريتشارد فاجْـنر

فِي مفتتَحِ الأسطوريّ سيجفرِيد. . .

*

يا أوروبّا!

لندن، ١٩/٠١/٢٠١٠

إيرلنديّةٌ في الشمالِ الأميركيّ

«إلى بِـنْـكِـي ووكَـر» Binky Walker

شَعرُها وَرْدُ إيرلَـنْـدةَ
الوجهُ يبزغُ من لُجّـةِ الوردِ.
هادئةٌ، هي، لا تتكلّمُ:
بِضعُ غماغمَ للريحِ،
لكنْ، عليّ، أنا، أن أفسِّرَ تمتمةً
أن أقولَ:
أحبُّكِ!
لكنها تتبسَّـــمُ، صامتةً.
ثمَّ، بعد دقائقَ، تهمسُ للريحِ:
إنْ أنتَ جئتَ وحيداً، إلى «حانةِ الـمَـعْـبدِ»
المسْتَكِـنّــةِ في آخرِ الليلِ،
في آخرِ الكونِ. . .
سوف أُحِبُّكَ!

لندن، ٢٠٠٩/٠٩/٠٨

المقصود بـ «حانة الـمعبد» منطقة حانات تاريخية في العاصمة الإيرلندية دَبْـلِـن Temple Bar

أوّل أيّار في موريس بلاسـه (برلين)
May Day in Morisplaz-Berlin

قالت لي جْوانُ:
الليلةَ نســهرُ حتى منتصفِ الليلِ
فقد نلقى ســاحرةً في عَتْمةِ منعطَفٍ. . .
(لَـيلَـتُهُنَّ!)
وفي الصبحِ
الصبحِ العالي
سنسيرُ إلى ساحة موريسَ، لننضمَّ إلى العمّالِ
ونهتفَ تحت الراياتِ الحمراءِ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
كان الليلُ عجيباً في برلينَ الشرقيةِ
(لا أسهرُ في الغربيةِ)
كان الليلُ شــوارعَ من موسيقى الجازِ
وأنهاراً لقناني البيرةِ.
أغلقت الشرطةُ بضعةَ أحياءٍ.

(كان مئاتٌ من شرطةِ منْعِ الشغَبِ انتشــروا. . .)
قلتُ:
جْوانْ. . .
إنْ كان الليلُ عنيفاً هذا العنفَ، فكيف، إذاً، سيكونُ الصبحُ؟
. . . .
. . . .
. . . .
الراياتُ الـحُمْــرُ، الراياتُ الخفّاقةُ، راياتُ الأيّامِ الذّهَبِ
التأسيسِ، وكارل ماركس، وإرنَسْتْ تَلْــمان، بْرَيْخْت،
الكابارَيت. الراياتُ المرفوعـةُ أعلى من أبراجِ الكاثدرائياتِ
وأعلى من تاريخِ التاريخِ. الراياتُ الدفّاقةُ في كلِ ذراعٍ شُهُباً.
تلك الراياتُ سنشهدُها، صبحاً في الساحـةِ، آنَ نُفِيــقُ!
❋
كان الوقتُ ضحىً. بُرْجُ الساعةِ لم يشهدْ بَعدُ مواعيدَ العشّاقِ.
أَمْ أن الناسَ، جميعاً، في الساحةِ حيث مُظاهرةُ الأوّلِ من أيّارَ؟
وفي هذا العامِ التاسعِ بعدَ الألفَينِ، القلعةُ تهتزُّ. العمّالُ بلا عملٍ.
سيكونُ الناسُ جميعاً في الساحةِ!
أمواجُ بَيارقِنا
وهديرُ حناجرِنا
في الساحةِ. . .
❋
سيّاراتُ الشّــرْطةِ، ساكنةٌ. لا صوتَ، ولا شــرْطةَ.

والساحةُ (أعني موريس بلاتسهْ) بَدَتْ فارغةً إلاّ من متسكِّعةٍ أفرادٍ. أحسستُ بأني في غيرِ مكاني. قلتُ: جْوان... أنحْنُ وصلْـنا؟

قالت: طبعاً!

*

عجباً!

حتى التركيُّ

الكرديُّ التركيُّ

استبدلَ بالبيرقِ، دكّانَ كَبابٍ!

لا مطرقةُ ستالينَ، ولا منجلُ ماو...

العمّالُ الألمانُ يعومون، سعيدينَ، بأنهارِ البيرةِ،

ثمّتَ شمسٌ ساخنةٌ

والفتياتُ تمدّدنَ على العشبِ.

لندن، ٢٩/٠٥/٢٠٠٩

مرحباً، منتظِر!

اليومَ سأشـربُ كأسـي شاياً بالعسلِ. . .
اليومَ، أُحَيِّيكَ
وأشـربُ نَخْبَكَ. . .
كأسَكَ، شاياً بالعسَلِ!
منتظراً منكَ، مبادلَتي نَخْبي، يا منتظِـرُ!
اليومَ، هنا، وكما في كل الدنيا، أحَدٌ. . .
لكنْ، لا أحدَ، اليومَ، سـواكَ
لقد وحّدْتَ العَلَمَ الوطنيَّ
جلَوتَ له المعنى
وجعلتَ العلَمَ الوطنيَّ يحلِّقُ مقذوفاً
ليصيبَ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
احذَرْ، يا منتظِرُ!
القتلُ (وأعني قَتْلَكَ) صعبٌ في السجنِ،
ولكنّكَ، يا منتظر الزيديّ، ستبقى هدفَ المحتلِّينَ الأوّلَ.

لن ينسَوا أنكَ وحّدتَ العَلَمَ الوطنيَّ،
جعلتَ العَلَمَ الوطني
يُحَلِّقُ مقذوفاً
ويُصيب. . .

لندن، ١٣/٠٩/٢٠٠٩

اليعسوبُ الذهبُ

غيرَ بعيدٍ عن مطعم أسماكِ «الشبّوطِ اليابانيّ»
وعند سياج ممرٍّ نحو الغابةِ حيثُ ثلاثُ بُحيراتٍ ترتشفُ النورَ،
شفيفاً
في هذي الساعةِ من يوم خريفٍ. . .
كنتُ أحاولُ أن أتملّى غُصناً مقطوعاً قذفتْهُ الريحُ إلى أعلى السورِ
وأن ألـمُسَ ما يهجسُهُ الغصنُ المقطوعُ عن الشجرةْ.
كانَ أصيلٌ رطْبٌ
و أرانبُ في الـمَرْجِ
وبِضعةُ أطيارٍ سودٍ. . .
وأنا، غُفْلاً، أتَملّى هذا الغصنَ المقطوعَ.
أقولُ لنفسي: هل سيُعِيدُ الغصنُ الدّورةَ؟
أعني هل سيعودُ الغصنُ المقطوعُ إلى أشجارِ الغابةِ في يومٍ ما؟
هل سيعودُ النُّسْغُ إلى اللوحِ اليابسِ؟
هل تَخْضَرُّ الأوراقُ؟
. . . .
. . . .
. . . .

وفي مِثلِ الخطفةِ
في مثلِ اللهفةِ
في مثلِ غيابي. . . حَطَّ على إبهامي يعسوبٌ ذهَبٌ.
لم أعرفْ: هل أنظرُ أمْ أشــعرُ؟
واليعسوبُ. . .
أهذا اليعسوبُ الذهبُ، الشــيءُ أم الرؤيا؟

لكنّ اليعسوبَ، خفيفٌ، وشفيفٌ، وحقيقيٌّ أيضاً
ويحِطُّ على إبهامي!
إن جناحَيهِ يرِفّانِ، رقائقَ من ذهبٍ صاغتْــه ملائكةٌ. . .
ويرِفّانِ على إبهامي، فِعلاً!
. . . .
. . . .
. . . .
هل يعرفُ هذا اليعسوبُ الذهبُ، القصةَ:
هل سأعودُ، كما سيعودُ الغصن المقطوعُ، إلى الشــجرةْ؟

لندن، ٢٠٠٩/٠٩/٢٣

حيـاةٌ عمليّةٌ

ذهبتْ في قطار الشمالِ إلى أهلِها، ليلةَ العيدِ. . .

قلتُ لها: لو تمَهّلتِ!

لو هِمْتِ، أكثرَ، في الوادِ. . .

لو نِمْتِ، أكثرَ. . .

لكنها حملتْ في الصباحِ الـمُـبَـكِّــرِ، ضحكتَها والحقيبةَ (كانتْ حقيبةَ خيطٍ)

وراحتْ مع الريحِ والثلجِ.

والآنَ

عند المحطةِ

لم أدْرِ كيفَ أُوَدِّعُها:

هل أُقَبِّـلُـها؟

هل أقولُ كلاماً كما اعتادَ أهلُ البلاد؟

وهل أحملُ الوِزْرَ؟

أعني: أأحملُ نحو القطارِ حقيبتَها الخيطَ؟

لم أدرِ.

أمّا هيَ. . .

(الأمرُ أيســرُ ممّا ظننتُ.)

فقد خطفتْ، مثلَ ما يَخطِفُ البرقُ، تلكَ الحقيبةَ.
قالت: وداعاً
وغابتْ...

لندن، ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٩

حِـنّـاءُ الـفـاوِ

حنّاءُ نساءِ البصرةِ تأتي مع مِلْحِ البحرِ
وأسماكِ البحرِ
ورُوبيانِ البحرِ
من الفاوِ. . .
الأوراقُ الـخُضْـرُ، مخشخشةً تأتي، في أكياسٍ من خيشٍ.
ستكون الأوراقُ طحيناً أخضرَ مُـغْـبَـرّاً
ستكونُ عجيناً أخضرَ
أخضرَ، مُـحْـمَـرّاً بعد دقائقَ.
حنّاءُ الفاوِ
خِضابُ لِحىً وجدائلَ
راحاتُ عرائسَ
أخفافُ حُفاةٍ شـقّقَ أقدامَهمو السّـعيُ على طرُقاتِ اللهِ. . .
وحِـنّاءُ الفاوِ
كأسماكِ الفاوِ
ومِلْحِ البحرِ
وروبيانِ البحرِ

تَناءتْ، حتى غابتْ في ما كانَ يُسَــمَّــى الفاو. . .

. . . .

. . . .

. . . .

خالاتي المسكيناتُ سَــكَـنَّ الفاو.

لندن، ١٢/ ٠٢/ ٢٠١٠

حالةٌ يوميّــةٌ

ليس من عابرينَ هنا
ليس من زائرينَ
الطبيعةُ أغلقتِ الساحةَ الداخليّةَ حيثُ الخنازيرُ
حيثُ السناجبُ
والناسُ
والنورسُ المتوهِّمُ تلكَ البحيرةَ بحراً. . .
أقولُ:
ذراعي تُجاذِبُني. . . كيفَ لي أن أُقاوِمَ؟
رُبّتَــما أُسْلِمُ الرّسْغَ:
للغِلّ؟
للمِبْضَع الـمرتجى؟
للفتاةِ الّتي تركتْ قطعةً من ملابسها الداخليةِ تحتَ الفراشِ؟
. . . .
. . . .
. . . .
في هذه اللحظةِ، الثلجُ يهبطُ أثقلَ
أثقلَ
أثقلْ.

لندن، ١١/ ٠١/ ٢٠١٠

جِـنازةٌ

ساحةُ الـحَـيّ كما هيَ:
فارغةٌ إلاّ مِنْ بضعِ سيّاراتٍ مبتلّةٍ من أمطارِ اليومَينِ السالفَينِ.
والسقوفُ البُنّيّــةُ عادةً تبدو رماديّةً أقربَ إلى الســواد.
السروةُ الفتيّةُ أسفلَ نافذتي لا تكاد تهتزّ مع أن ريحاً خفيفةً تتدحرجُ في الحديقةِ.
امرأةٌ تطوي مظلّـتَـها لتدخل من الباب الرئيس للمبنى
حيث يقيمُ المنتظرونَ الرحيلَ إلى الجنّة.
لا أدري إلى أين ذهبت الطيورُ...

....

....

....

قبل دقائقَ فقط
كانت الساحةُ تكتظُّ بسيّاراتٍ ســـودٍ
ومعاطفَ ســودٍ
وأكاليل زهورٍ...
والتابوتُ يكاد يختفي في سيارة المرسيدس الطويلة
تحت أكاليلَ، بعضُها اصطناعيٌّ.

لم أعُدْ أسألُ
كلُّهم راحلٌ إلى الجنةِ.
أمّا أنا، فـمُـوَكَّلٌ بهذا الفضــاء.

٢٠٠٩/١٢/٣٠

«**ملحوظةٌ**: علِمْتُ الآنَ من طفلةٍ مرِحةٍ ترتدي السوادَ، أن جارتي المباشرةَ، باتْ، هي التي ماتتْ»

ثلاثة ثعالبَ تلعبُ في ضوءِ القمرِ

في الساحةِ الخلفيّةِ الخضراءِ للمبنى
(وأعني الـمَـلـجأَ البلديَّ حيثُ أعيشُ)
كانت فضّـةٌ تَـنْـهَـلُّ من بَدْرٍ حقيقـيٍّ
(كما في الرسمِ أو في السينما)
حتى كأنَّ الليلَ قُطبِـيُّ النهارِ
وأننا في سينما صيفيّـةٍ. . .
والعشبُ، حتى العشبُ، يلمعُ في بياضٍ أخضـرَ
الأشجارُ نائمةٌ على أغصانِها الـعُريانةِ،
الليلُ الذي أحْياهُ منتصِفٌ،
وأســمعُ صيحةً مجهولةً من طائرٍ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
في بغتةٍ
في لحظةٍ بيضاءَ
في نُعْـمَـى مبارَكةٍ
رأيتُ ثعالباً يلعَـبْـنَ تحت شُـجَـيْـرةٍ تتوسَّطُ البستانَ

قد كنتُ اتَّـرَكْتُ لهنّ زاداً في المســاءِ.
طَـعِـمْـنَـهُ،
وتركْــنَ صحني فارغاً، متألِّـقــاً، في نورِ بستانيّ الســماويّ.
الثعالبُ كُنَّ يلعَبْــنَ
السماءُ خفيضةٌ
والأرضُ بيضــاءُ...

لندن، ٣٠/ ٠١/ ٢٠١٠

تـهْلِيْلـةٌ لِطائرِ الفجرِ

طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أجملَكْ!
نَخْـلُـنا، والمنازلُ، والوردُ . . . لَكْ
والسماواتُ لكْ.
طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أجملَكْ!

*

هَـلّلَ النورُ
أَطْلِقْ جناحَيكَ نحوَ الفَـلَكْ.
أطْلِق الصوتَ، شَـدْوَ الضـياءِ الذي قَبَّـلَكْ
طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أجمـلَكْ!

*

لن ترى قفصاً بَـعْـدُ
لن يتمكّنَ منكَ الشَّـرَكْ.
سوفَ يَقْـوى جناحاكَ، أمْضى من النَّسْرِ أنَّـى سَـلَكْ.
طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أنبلَكْ!

لندن، ٢٦/ ٠٢/ ٢٠١٠

تنويعٌ على طلال حيدر

«خَلِّيك مثل القصب
كلما عتق يحِنّ. . .»

لَـفُّـوا الكفافي. . . مَشَـــوا
والبحرُ منهم صارْ
محمود درويش باقٍ
والـمدى والدار. . .

لَفّوا الكَفافي. . . مشَـــوا
والبحر، والمرفأْ
إغْريقُ فُلْكٍ لنا
مَنْ قالَ: لن نغرقْ؟

لَفّوا الكفافي. . . مشَـوا
كانوا فدائيّينْ.
والصبحَ، إذْ أصبحوا
عادوا فدائيّين.

لفّوا الكفافي. . . مشَـوا
فلْـتَـبْـدأ الرِّحْـلةْ
لفّوا الكفافي. . . مشَــوا
هل تنتهي الرِّحْـلةْ؟

لندن، ١٤/ ٠٢/ ٢٠١٠

كلامٌ في أوّلِ الليلِ

سوف أبحث عنكَ:
السماءُ التي أطبقَتْ سوف تُطْبِقُ أكثرَ
لكنني سوف أبحثُ عنكَ. . .
تقولُ: الجبالُ رماديّةٌ.
ومتى لم تكُنْ هكذا؟
وتقولُ: المقاهي التي قد ألِفْنا زماناً، تُغَلِّقُ أبوابَها
واحداً بعدَ آخرَ. . .
حتى ملابسُنا قد تبدّلتِ:
السّترةُ انقلبَتْ
والقميصُ الذي كان أَبيضَ قد صارَ أَسْــودَ.
. . . .
. . . .
. . . .
هل أنت تسمعُني؟
هل تَرَهَّفَ ســمعُكَ للنملِ قبل المطرْ؟
هل رأيتَ الجذورَ الخفيّةَ، تلك التي تمنح الشجرَ الـمــَيْتَ أوراقَ
ميلادِهِ؟

هل رأيتَ، وقد جلجَلَ الرعدُ، بَرقاً؟
إذاً، سوف أبحثُ عنكَ
وألقَـــاكَ.
إن الحياةَ يحقُّ لها أن تُعاش.
ونحنُ، يحقُّ لنا، أن نعيش...

لندن، ١٤/١٢/٢٠٠٩

سكونٌ صيفيٌّ

الهواءُ تَدَلّـى
كأنّ به مائعاً من رصاصٍ
كأنّ الذي نتنفّسُـهُ لم يكنْ مثلَ هذا. . .
الغيومُ التي ثَـقُـلَتْ بالهواءِ تدلّتْ على شُرُفاتِ المنازلِ.
لم يَـمْـرُقِ الطيرُ
والشمسُ، بين الرصاصِ العميمِ، اضمَحَـلّتْ.
أرى النملَ
والنحلَ
بين اضطرابٍ ومَسـعى. . .
. . . .
. . . .
. . . .
وفي بغتةٍ أتذكّـرُ، أني هنا، منذُ عَـشْـرٍ
وأني، هنا، سـأموتُ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
تُباغِـتُني قطَراتُ المطر!

لندن، ٢٠٠٩/٠٨/٠٥

سأكونُ صديقي

سأجلسُ على المصطــبةِ الخشبِ. إلــى يمين الباب. بابِ بيتي الذي هو ليس بيتي.
سأجلسُ. أحدِّقُ في العشب الذي لا يذوي. أحدِّقُ في الأغنيةِ التي تغيب. لم تكن السماءُ عاليةً هنا، أبداً. الطيورُ تَبْلغُها والطائراتُ وأدخنة المدافيء الغازية. أسمعُ؟ ربما مَسْـــرى الدمِ في ذراعي الشمالِ. لم يَعُد البريدُ يحدِّثُـــني. ماذا أنتظرُ هذا الصباح؟
السنجابُ الوحيدُ الذي يقتربُ مني اختفى اليومَ. وطائرا الزريابِ رحلا. لستُ أدري متى يعودانِ. سيكون المساءُ بارداً. أقولُ لكِ شيئاً: أنا منذُ اليومِ سأكونُ الـمُـدَوِّنَ. الساعاتُ ليستْ فارغةً. ملايينُ النوابضِ والنبضاتِ تنتظرُ مني أن أكونَ وفِيّـاً. إذاً، سأجلسُ على المصطبةِ الخشـــبِ.
سأظلُّ جالساً حتى تحت نثيرِ الثلجِ. لا أنتظرُ شمساً ولا مصافَحةً.
سأكونُ صديقي . . .

لندن، ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٩

زرادَشـت

سيوقِدُ أكرادُ «عَـقْـرةَ» نيرانَهـم في رؤوسِ الجبالِ، كما كان يفعلُ دوماً زرادشــةُ
الكُتُبِ. النارُ في القممِ. النارُ في البيتِ، وابنُ الـمُـقَـفَّـعِ في البيتِ كانَ يُزَمْزِمُ.
أكرادُ «عَقْرةَ» كانوا زرادشــةً يرقصونَ، وقد أوقَدوا نارَهم في رؤوسِ الجبــالِ.
يقولونَ: دِينٌ أتى جَبَّ ما قبلَـهُ. ربّما...
غيرَ أني أُطالِعُ ناراً على جبَلٍ.
وأُتابعُ أَقدامَ مَن يرقصونَ.
الفساتينُ أَفْوافُ وَرْدٍ
وتلك السراويلُ خفّاقةٌ والغصون.
....
....
....
في ربيعِ البراري زرادشــةٌ يرقصون.

لندن، ٢١/ ٠٣/ ٢٠١٠

روايةٌ روسيّةٌ

آنَ ما يتناوحُ هذا الهواء
آنَ ما يتناوحُ مرأى البحيرةِ في صمتِها
آنَ ما يَغْمُقُ الورقُ المتساقطُ في لونهِ
آنَ ما أشتهي أن أُقَبِّلَ ما تحتَ سروالِها
آنَ أقذفُ قنبلةً نحو مَن يتهدّدُ معنى العراق
آنَ أُصغي إلى الصمتِ في المطرِ الناعمِ. . .
آنَ أشعرُ، في البردِ، أني الحريقُ بأكواخنا
آنَ يأتي الزمرّدُ من آسيا
آنَ تأتينَ أنتِ، متوَّجةً في المحطةِ، زرقاءَ أو وردةً
آنَ أسألُ عن مبدأٍ
آنَ أن نتكوّرَ في فِعْلِنا الحُبَّ، مثلَ الفراشاتِ مأخوذةً
آنَ أرفضُ ما ليسَ أرفضُهُ
آنَ لا أعرفُ. . .
آنَ ألبسُ، ثانيةً، جزمةً للفدائيّ
(ليستْ مبالغةً. نحن كنا ببيروت في ١٩٨٢)
آنَ أسألُ عني
آنَ لا أسألُ.

آنَ أفرحُ لو كنتُ أعمى. . .
آنَ أنتظرُ الطلقةَ الذهبيّةَ
آنَ الشميمُ الذي جاءَ من نجدٍ النجدِ أستافُهُ
آنَ أُصغي إلى المنتهى.
سوف أكتبُ.

لندن، ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٩

خِشْفٌ خلفَ السياجِ

تناوَحَتْ في المساءِ الريحُ.
كان على ماءِ البحيرةِ غيــمٌ
غير أنّ على الأفقِ البعيدِ بدتْ شمسٌ، مفاجِئةٌ
حمــراءُ...
لم أرَ شمساً في النهارِ!
هل الدنيا تَبدَّلتِ: الصباحُ أعمى
و جَفنُ الليلِ ينفتحُ؟
....
....
....
ودِدْتُ لو كنتِ لِصْقي الآنَ...
قبلَ قليلٍ كان خِشْفٌ وراءَ السور
أرقَـبُـهُ
يقتاتُ ما رَقَّ من نبْتٍ.
وأرقَـبُـهُ
يُدْني الغصونَ
ويُرْخِـيها، فَتَـنْسَدِحُ...

لندن، ٢٧/٠٣/٢٠١٠

خـرْبَشـةٌ

ليس مهمّاً أن تعرفَ في أيّ مكانٍ أنتَ.
مهمٌّ أن تعرفَ مَن لا تعرفُ في أيّ مكانٍ. . .
مثلاً:
ماذا يأكلُ آخرُ سِـكِّـيرٍ في آخرِ حاناتِ بَلِغراد. . .
وماذا يفعلُ عصفورٌ إنْ هبطَ الثلجُ.
وماذا ستقولُ امرأةٌ لعشيقٍ لم تُعْجِـبْـهُ صلافتُها الأمازونيّةُ.
ماذا سيكونُ نعاسُ المحكومِ عليه بأن يُشنَقَ فجراً.
ماذا تأكلُ إنْ كنتَ نباتيّاً في أرض القرغيزِ.
ومَن تسألُ إنْ أخطأتَ سبيلَ العودةِ في نيويورك. . .
إلخ. . .
إلخ. . . .
إلخ. . .؟
لكنّك لا تؤمِنُ بالآخرةِ!
الآنَ، ستعرفُ في أيّ مكانٍ أنت. . .

لندن، ٢٠١٠/٠١/٠٣

ليسَ رِهاناً

سأكونُ صريحاً معكِ الليلةَ:
أنتِ تقولينَ «أحبُّكَ». . .
(كنّا في بارِ «الأسدِ الأحمرِ» ذاتَ مساءٍ أتذكّرُهُ)،
لكنكِ حين تقولينَ: «أحبُّكَ»، أسمعُ: «لستُ أحبُّكَ». . .
(كنّا في بارِ «الأسدِ الأحمرِ»).
أمّا في هذي الليلةِ، آنَ الثلجُ يهدِّدُنا بحصارٍ أبيضَ، أيّاماً
آنَ أراكِ مُنَعَّمـةً بقميصِ حريرٍ صينيٍّ أسـودَ
فوقَ سـراويلِ حريرٍ صينيٍّ سُـودٍ،
آنَ تمهّلتِ طويلاً لتقولي: سوف أظلُّ هنا، في لندنَ، أسبوعاً معكَ. . .
في هذي الليلةِ
لن أتذكّرَ
لن أُجهِدَ أعصابي لأُفَسِّـرَ. . .
سأصدِّقُ ما تنطقه شفتاكِ، ونحن نرُدُّ عن الجسدَينِ الثلجَ المِدرارَ:
أحبُّكَ!
لستُ أُحِبُّكَ. . .

لندن، ٠٤/ ٠١/ ٢٠١٠

لن تأتي الريحُ الغربيّـةُ

أضواءٌ متناثرةٌ
لِـمَـراكبَ ضيِّـقـةٍ، تبدو في الـبُـعْـدِ
وراءَ الأشجارِ العاريةِ.
الآنَ
وفي الماءِ المتجمِّــدِ للقنَواتِ
سيُشْعِلُ جَــوّابونَ مَـواقِـدَهم
ليكونَ بَخورُ الصّـفصافِ هواءَ نهارٍ أبيضَ.
لكنْ، قد تأتي الريحُ الغربيّـةُ بالغَـيمِ الـمُـثْقَلِ
والوَزِّ الـمِـصريّ
وبالعينَينِ المغْـمَـضَـتَينِ على صخرةِ بحْـرٍ في عَـدَنٍ،
قد تأتي الريحُ الغربيّـةُ. . .
أمّـا الآنَ
فليس لنا غيرُ الـجُدرانِ الأربعةِ؛
اليومَ، الأحدُ
اليومَ، أظَلُّ بلا أحدٍ
أنقِرُ في الـجُدران.

لندن، ١٤/ ٠٢/ ٢٠١٠

لا بأسَ عليكَ!

عشرةُ أعوامٍ مرَّتْ، لتراك، كما أنتَ، تحدِّقُ عبرَ النافذةِ الغربيــةِ،
لا بأسَ عليكَ. . .
النافذةُ الغربيةُ مِرآتُكَ
والـمَـرأى
الساحةُ والأشجارُ، وسقفُ الـمَبنى الـممتَدُّ كحوتٍ أســودَ تحتَ
سَماءِ رصاصٍ.
لا بأسَ عليكَ. . .
الأعوامُ العشــرةُ لم تكتمْ أنفاسَكَ
لم تنبِذْكَ وحيداً في ليلِ الـمطـرِ،
الأعوامُ العشــرةُ أعطَتْكَ الدُّرْبةَ:
أنْ تتحمّـلَ، مثلَ جوادٍ بَرِّيٍّ، كلَّ فصولِ الكونِ،
وأن تتنفّسَ كالأسماكِ
وأن تأكلَ قلبَكَ آنَ تجوعُ.
وأن تصْبِرَ إنْ هجرَتْكَ امرأةٌ
وانفَضَّ الســامرُ عنكَ.
و لا بأسَ عليكَ. . .
الأعوامُ العشــرةُ أعطَتْكَ النافذةَ الغربيّــةَ

فانظُرْ عبْـرَ النافذةِ الغربيةِ
وانظرْ عَبْرَ النافذةِ الغربيّـةِ
وانظُـرْ:
ربّـتَما ستكونُ الـمُبْـصِـرَ في أحدِ الأيّـام.

لندن، ١٢/ ٠٢/ ٢٠١٠

قلانسُ ياسمين

في ليالي الشتاءِ الطويلاتِ
إذْ يسقطُ الثلْجُ . . .
أُقْصِي قليلاً ستارةَ غرفةِ نومي، وأنظرُ عبْرَ الحديقة حيثُ البياضُ
الـمُـقِيمُ،
أُتابعُ مَرأى البحيرةِ في البُعْدِ
بينَ الجذوعِ التي تلبسُ الآنَ لونينِ:
بُـنّـاً
وأبيضَ.
أعرِفُ أني وحيدٌ
وأني هنا بين مَن لن يكونوا ليَ الأهلَ،
لكنني أستريحُ إلى ذلك النورِ إذ يتخافقُ في نقطةٍ لا أُحَدِّدُها من
فضاءِ البحيرةِ
ربّتَما كانت النارُ نارَ القواربِ
أو خيمةِ العاكفينَ على وهْـمِ أسماكِهم.
. . . .
. . . .
. . . .

يسقطُ الثلجُ.
أُغمِضُ عينيَّ.
تأتي الغزالةُ من آخرِ الدَّغْلِ،
يتبعُها راقصونَ بأرديةٍ من حرائرَ صينيّةٍ
وطبولٍ
وسَبْعِ قلانسَ من ياســمين.

لندن، ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٩

قرارٌ ظالِـمٌ

قرّرتُ (كانت ساعتي، بالضبطِ، سابعةً مســاءً) أن أقولَ
لِـمَنْ أُسَـمِّـيها الضجيعةَ في ليالي الثلجِ: يا بِنْتُ، الوداعَ!
كأنّ صوتَكِ وهو يَـبْـلُـغني من المنأى الشماليِّ الفقيرِ يقولُ:
إنّ الخيرَ ما نختارُ. . .
أنتِ اخترتِ أن تتلَـبَّـثي في المرفأ المنسيّ
أن تتمنّعي
أن تهجِســي، حَدْســاً، بأني سوف أشقى إنْ أطَلْتِ الـمَكْثَ
ثَمّتَ، حيثُ سِيْفُ البحرِ مهجورٌ، وحيثُ الكلبُ، حتى الكلبُ،
يرفضُ أن يُقادَ هناكَ. . .
لا تمضي بعيداً.
إنني قرّرتُ (كانت ساعتي، بالضبطِ، سابعةً مساءً)
أن أقولَ لكِ: الوداع!

لندن، ٢٠١٠/٠٣/٢٤

طُـقوسٌ

الثلجُ الطائرُ منذُ الفجرِ نثـيراً
يتحوّلُ، منذُ دقائقَ، قَطْـراً تحملُـهُ ريحٌ باردةٌ.
والعشبُ يعودُ إلى خُـضـرتِهِ الشاحبةِ
ثـمّـتَ أوراقٌ يابســةٌ تبدو كعصافيرَ على العشبِ.
النافذةُ، الآنَ، هي الـمِـرآةُ.
سأجلِسُ لِصْـقَ النافذةِ:
البحرُ قريبٌ
ونوارسُ تَـمْـرُقُ أعلى بقليلٍ من سقفِ الـمَـبنى القرميدِ.
....
....
....
غداً
(إنْ صَـدَقَ الطيرُ)
ســآخذُ مَـجْـمَـرةً
وبَخوراً،
آخُـذُ سبعةَ عيدانٍ من علبةِ ثقّـابٍ
كي أُوقِدَ ناري
في أعلى التـلِّ...

لندن، ٢٢/ ٠٢/ ٢٠١٠

هـكـذا...

نورستانِ حَطّـتــا ضُحىً على السقفِ
(وأعني سقفَ بيتي)
غير أني رجُلٌ ولستُ بحراً. . .
فلماذا حطّت النورستانِ؟
الآنَ
لا يحقُّ لي أن أتساءلَ
أو أُجيبَ. . .
قد حطّتْ على سقفي، ضحىً، نورستانِ
هكذا.

لندن، ٢٠١٠/٠١/٠٣

هدهدةٌ

من وراءِ الزجاجِ الـمُضاعَفِ، أسمعُ صوتَ الـمطـرْ.
هل مضى الليلُ؟
لن يمضيَ الليلُ:
هذا المطرْ
كأسُـهُ المتطافِحَـةُ...
الليلُ يَثمَـلُ
يَثقُـلُ
ينزلُ من رَفِّـهِ ليُوَحِّـدَ ما بينَ أسـرارِهِ والبشـرْ.
....
....
....
كان صوتُ الـمطرْ
يتسرَّبُ.
صوتُ المطرْ
يتشـرَّبُ رقّةَ هُدْبِـي
لأدخلَ في قطرةٍ من مطرْ.

لندن، ٢٦/١٢/٢٠٠٩

مَـهْووسٌ

أظلُّ مندفعاً دوماً،
أدوسُ على مُعَجِّلِ السرعةِ القصوى
وأتركهُ على أديـمِ الحديدِ الجهْمِ ينطبقُ
فوقي سحابةُ مِدرارٍ تُظَلِّلُني
وفي المدى الخافقانِ: الريحُ والورَقُ.
ما أضيقَ العيشَ!
لو كان المدى بِيَدي
لكنتُ سِـرتُ إلى ما ليسَ يُختَرَقُ.

لندن، ٢٠٠٩/٠٦/٢٣

مُقارَنــةٌ

النسيمُ خفيفٌ
وسطحُ البحيرةِ مِرآةُ دَوحٍ وشمسٍ
يُشَـوِّشُــها بجعٌ أبيضُ
وسَـفينٌ من البطِّ أســوَدُ.
والجندُبُ، الآنَ، يفتحُ باباً من الطينِ. . .
من غصنِ صفصافةٍ رَفَّ طيرٌ
وفي لحظتَينِ اختفى.
. . . .
. . . .
. . . .
أنتَ تقصدُ هذي البحيرةَ
تأتي لتبحثَ عن نعنعِ الدَّغْلِ
عن بُطْنُجٍ
وروائحَ عشبيّةٍ.
أنتَ تبدو سعيداً
لأنكَ تلقى الذي جئتَ من أجْـلِهِ دائماً،

وتقولُ لنفسِكَ:
ما أسهلَ النعمةَ!

. . . .

. . . .

. . . .

الآنَ في عِرْقِ صخرٍ
رجالٌ يموتونَ من قسوةِ الصخرِ
يذوونَ من لَهَفٍ
واقتتالٍ على حفنةِ التِّبْـرِ.
أنتَ تقولُ لنفسِكَ: ما أصعبَ النقمةَ!

. . . .

. . . .

. . . .

الطيرُ يمرحُ.

لندن، ٢٠٠٩/٠٧/٠٢

مدرســة المحموديّة

المرايا هي الجدران، وهي السقف. مرايا ذواتُ أشكالٍ: مثلّث. معين. مربّع. مستطيل. دائرة - المرايا ذواتُ ألوانٍ: أزرق. أخضر. سماويّ - المرايا نورٌ ملصَقٌ على الجدران - المرايا نورٌ يتدلّى من السقف _ الخشب شفيفٌ. من النافذة تأتي سعفةٌ تترجّحُ مع نسيمٍ خفيفٍ ساخنٍ. الجسـرُ (ما زال خشباً) يبدو من النافذة الأخيرة. والنهر الذي يقالُ إن في منتهاه المنزل الذي لن نراه: منزل بنات الشلبي. مطر. مطر. يا حلبي. عَبِّرْ بناتِ الشلبي. مطر. مطر. يا شاشا. عَبِّرْ بناتِ الباشا. يا مطراً من ذهبِ! السيد علي الطبيب الهنديّ يسكنُ هو أيضاً في أقاصي النهر التي لن نبْلغَها. حيّاتُ الماءِ تقطعُ النهرَ من ضفةٍ إلى أخرى. نحاولُ أن نُمسِكَ بخيطِ الفضّةِ المتعرِّجِ. الحيّاتُ تنزلقُ مراوِغةً. سـمَكُ الجِرِّيّ يلتقطُ الطُّعْمَ الفقيرَ، العجينةَ أو التمرةَ. سنجففُ جِلْـدَ الجِرِّيّ لنصنع طبولَنا في الهاجرةِ القائظة. خليل الطويل يُعَلِّمُنا العربيةَ والجغرافيا. نحن الآنَ نعرف القارات. في أي قارةٍ نحنُ؟إفريقيا معَنا. ستدقّ الطبولُ في الليلِ المحتدمِ. ونحن نختبيْ تحت ثياب أمّهاتِنا الطويلة لنتسلّلَ إلى حلقةِ الزارِ المختنقة بالبخور. أبو

الخصيب كلُّها تدور حول المدرسة. أبو الخصيب هي المدرســة. المحموديّةُ هُدِمَت. المحموديةُ هُدِمَتْ على رؤوســنا، نحن أبنائها اليتامى.

لندن، ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٩

ما البحرين؟

ما البحرينُ؟
قاسِمُ حدّادٍ، أمْ جاســِمُ؟
مقبرةٌ لعراقيينَ أتَوا من ســومَرَ؟
أَمْ:

«مرَجَ البحرينِ»
هنا يلتقيانِ. . . .
وبينهما البرزخُ من مُرجانٍ وجُمانٍ؟
ما البحرَينُ؟
البنكُ الـدّوليُّ بها، أم «جبهةُ تحريرِ البحرينِ»؟
أمَشْيَخةٌ أَمْ مملكةٌ؟
إيمانُ أسِـيري أمْ فوزيّةُ؟
ما البحرين؟
سأظلُّ أُسائلُ عنها
لكنْ لن أعرفَها. . .
البحرين
على خارطةِ العالَمِ

ليستْ حتى النُّقطةَ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

لكني أعرفُ، من أجدادي،
من صندوقِ بريدِ: «قرامطةِ البحرينِ»
أعرفُ
ما البحرين!

لندن، ٢٨/٠٧/٢٠٠٩

ليلُ المحَطّةِ

سوف تأتي جوانُ ليلَ الأحدِ:
الرصيفُ في محطةِ المترو سيبدو شبه مغسولٍ من النوءِ الخفيفِ
الضوءُ يبدو شاحباً
لا وقْعَ أقدامٍ
ولا مسافري ليلٍ. . .
محطةُ المترو غفَتْ، مثلَ محطّاتِ القرى في ليلِ أسكتلَندةَ.
هل أبدو، أنا، مشتبَهاً بهِ؟
الساعةُ في المدخلِ. . . هل تستنطقُني؟
مَن أنتَ؟
مَن تستقبلُ، اللحظةَ، ليلَ الأحدِ؟
الشرطةُ في سيّارةِ الدوريةِ
الفندقُ، حيثُ العاهراتُ ارتَحْنَ من أثوابِهِنّ، استقبلَ التجّارَ بالجازِ القديمِ.
. . . .
. . . .
. . . .

جْوانُ تأتي . . .
جرجرتْ، عبرَ محطّاتِ الشمالِ، البحرَ
والأوراقَ
والضحكةَ، ملءَ العالَمِ.
جوانُ ستبدو، آنَ أستقبلُها، تنتظرُ القُـبلةَ
كالوردةِ إذْ تنتظرُ الطلَّ
كفانوسٍ على كوخٍ
و كالهدأةِ في ليلِ المحطّاتِ . . .
كأنفاســي التي أمستْ تضيء.

لندن، ١٩/٠٩/٢٠٠٩

هواجسُ منزلِ التـلّ

مطرٌ لا يُرى، يتغلغلُ في ملْمَسِ العُشبِ
يدخلُ بين خيوطِ القميصِ
وفي رئةِ الطيرِ.
كان النهارُ بطيئاً
وسوفَ تكونُ الليالي الطويلاتُ أبطـأَ.
كم قلتُ: إني سـأرحلُ عن منزلِ التلِّ!
كم قلتُ: إني سـأنصِبُ لي خيمـةً في رمالِ الجزيرةِ
أو أسـفلَ الأطلسِ...
البردُ يُرْعِشُ منـي الأناملَ.
أنظرُ:
لا شـيءَ في الأفْـقِ
مُـنْبَـسَـطٌ من سـماءٍ رمادٍ
ومنحدَرٌ من غصونٍ يَبـاسٍ يُقَضْـقِـضُـهـا النوءُ.
....
....
....

سوف يظلُّ المطرْ
لا يُرى.
ســوفَ أبقى هنــا، أخضِــدُ الليلَ في منزلِ التلِّ،
أبقى هنا
صيحةً ليس يسمعُها أحدٌ
صيحةً في عُــواءٍ بعيــد...

لندن، ٢٠١٠/٠١/٢٧

قصائـدُ هَـيْـرْفِيــلْد التلّ

Poems of Harefield on the Hill

(٢٠١٣)

فُـتُـــوَّةٌ

في الـ ٥٧
حـفَـرْنا، بأظافِرِنا الســـودِ، خنادقَ حولَ دمشقَ. . .
بساتينُ الغوطةِ كانت بكثافةِ أدغالِ الأمازونِ
ومن أعلى جبلِ الشيخِ يسيلُ الماءُ زلالاً بين أصابعَ مُـفْـعَـمـةٍ
بترابِ الأرضِ.
وفي الـ ٥٧
شـــربْنا عرَقاً، رُبْعَ البطْحـــةِ
ثمّ نَـعِـمْـنا بشطيرةِ خبزٍ عربيٍّ، رُبْعَ الليرةِ. . .
في الـ ٥٧
أحببْـنا
و كـتَـبْـنـا في ضوءِ الشمعِ قصائدَنا الأولـــى.
كان زماناً ذهَـبـــاً
كنّا في الـ ٥٧ . . .
وكنّا، نحفرُ، مثلَ دمشقَ، خنادقَنا في الروح.

لندن، ٢٨/ ٠٣/ ٢٠١٠

كنتُ أتمشّى ظُهراً

أمسِ، قرّرتُ أن أتمشّى على طولِ تلك القناةِ العجيبةِ
تلك القناةِ التي شهدتْ بدءَ حُبَّـيـنِ
ثمّ نهايةَ حُبَّـينِ. . .
تلكَ القناةِ التي قسمتْنيَ نصفَينِ
تلك القناةِ التي أغرقتْني. . .
قلتُ: فَـلْـيَكُنِ!
اليومَ أمشي على ضفة مِثلَ حدِّ الصراطِ:
أحاولُ أن أتصالحَ
والماءَ
والعشبَ
والطيرَ. . .
كانت سماءُ الخريفِ، على غيرِ عادتها، شبهَ زرقاءَ
والماءُ أخضرَ
والطيرُ أخضرَ
والعشبُ عند الضفافِ الخفيضةِ أخضرَ. . .
مَن كانَ في الـبُـعْـدِ؟

مَن كان يوشكُ أن يعبرَ الجسرَ؟

. . . .

. . . .

. . . .

هل تلكُما. . . المرأتان؟

لندن، ١١/ ١٠/ ٢٠١١

ألعابٌ لُـغَــويّــةٌ

ربّما هجرتْكَ السماءُ التي كنتَ ترجو. . .
ربّما!
فلْتَعُدْ للحقيبةِ:
ثَمَّ ســـماءٌ سماويّةٌ (أنتَ أرهقتَها بالحديث طويلاً!)
وثَمّ السماءُ التي هي للناسِ.
قُلْ لي:
إلى أيّ واحدةٍ أنتَ ترجِعُ
أو تستريحُ؟
إلى أيّ واحدةٍ أنتَ تُسْـلِمُ رأسَكَ، مستسلِماً، كالوسادةِ؟
لا!
لا تَقُلْ لي: أمُستَنطِقي أنتَ؟
إني صديقُكَ
صورتُكَ
النسخةُ. . .
الآنَ، لن يخدعَ الواحدُ، الآخرَ.
الآنَ نحنُ سواسيةٌ
مثلَ أسنانِ مشطِكَ ذاكَ الـمُثَلَّـمِ. . .

نحن سواسيةٌ
أنت لم تنسَ أني الشيوعيُّ
(لم تنسَ أنكَ كنتَ الشيوعيَّ)
فلنتّفِقْ!
لِنَقُلْ، في الأقلِّ، بأنّ التّساميَ ليس السماء. . .

مطار مدريد، ٠٢/١١/٢٠١١

العراقُ آتٍ

سوف يأتي العراقُ الجميل
سوف يأتي العراق
بعدَ أن يرحلَ الأمريكيُّ
والخادمُ الفارسيُّ الـمُـعَـمّـمُ. . .
هذا العراقُ الجميل
قادمٌ في الهواءِ الذي نتنفّسُ
في الشاي عند أعالي الفرات
وفي العَرَقِ الـمُرِّ في جبهةِ النهرِ. . .
هذا العراق الجميل
قادمٌ في عباءةِ أُمّي التي رحلتْ وأنا جاهلٌ أنها رحلتْ
(كنتُ أذرعُ زنْقاتِ باريسَ). . .
هذا العراقُ العجيب
سوف يأتي بنا من مَـنـابِـذنا في الديارِ التي لم نُحِبّ
الديارِ التي لم تُحِبَّ ملامحَنا
وضراوةَ أجسادِنا. . .
ولَسوفَ نكونُ سعيدينَ
مرتجفينَ

حُفاةً
خِفافاً
وممتلئينَ عفافاً
ورُعباً. . .
وسوف نقولُ لـهُ:
أيُّهذا العراق
لم يَعُدْ في الطبيعةِ مُـتَّسَـــعٌ
للفراقْ
أيُّهذا العراقْ. . .

لندن، ١١/ ١١/ ٢٠١١

محاولةُ اندماجٍ

قد قلتُ أمضي اليومَ (طقسٌ تافهٌ) لأطوفَ حول بُحيرةِ البطّ.
انتبهتُ: وأيُّ معنىً أن أكونَ هناكَ؟
لا البطُّ الذي يُسْمى يناسبُني، و لا الماءُ الذي يجري هنالكَ،
مائيَ.
الأشجارُ (عرّاها الخريفُ)
أظنُّها نخلاً؟
وهذا الطيرُ؟
لو أرخى ببغدادَ الجناحَ، لكان مأكولاً...
وهذي النسوةُ الخفِراتُ لو كُنَّ انتقلْنَ إلى «الرشيدِ» مع الكلابِ،
لكُنَّ بضعَ رهائنَ...
يا ويلَتي!
والآنَ
هذي اللحظةَ
استحيَيتُ من أمري...
مرّتْ بي فتاةٌ ذاتُ كلبٍ يشبهُ العصفورَ:
Good morning!

أقولُ لها: صباح الخير!
بالعربيّةِ. . . .
الكلبُ الذي يبدو كعصفورٍ يقولُ مُرَحِّباً بي:
صباح الخير!
Good morning!

ولكنّ الفتاةَ تسيرُ، شامخةً، تجُرُّ الكلبَ
لم تعبأْ بأن تلقى التحيّةَ. . .
لم تعبأْ بأنّ الكلبَ ظلَّ، على طريقتِهِ، يؤدّي لي التحيةَ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
أيُّ طقسٍ تافهٍ!

لندن، ١٩/ ١١/ ٢٠١١

غادِر الآنَ....

وأيُّ بلادٍ أنتَ فيها؟
لِـتُغـلقِ النوافذَ (ليستْ بالنوافذِ)
أغلقِ المحطّةَ. . . (موسيقى الأميراتِ ليستْ ما تحبُّ)
- كأنني تعثّرتُ ليلاً بالأميرةِ، فلْيَكُنْ! -
وتلكَ دوحةُ بلّوطٍ!
وما علاقةُ نخلِ البصرةِ؟
انتبهِ:
البلادُ التي آوتْكَ ليستْ بلادَكَ!
البلادُ التي آوتْكَ، آوتْكَ كي لا ترى بلادَكَ يوماً!
أغلقِ الخطَّ!
أغلقِ الهواتفَ. . .
أغلِقْ قلبَكَ!
النساءُ اللواتي قد حبَبْنَكَ لم يَكُنَّ ليُحْبِبْنَ إلاّ بالشروطِ
وإلاّ بالوثيقةِ من يد الشُّرَطيّ
أنتَ
حفيدُ كِندةَ
وامرىءِ القيسِ. . . النبيّ

أفِقْ!
لماذا أنتَ في أرضٍ لقيصرَ؟
أيُّ معنىً أن تكونَ بلندنَ الصغرى؟
أو الكبرى. . .
أقولُ لكَ النصيحةَ يا رفيقي:
غادِرِ الآنَ. . .
امرؤُ القيسِ الذي قد جاءَ، لا تتركْهُ ينتظرُ!

لندن، ٢٢/ ١١/ ٢٠١١

أسمعُ المطرَ الليلةَ

منذُ عشرِ سنينٍ، هنا، ما سمعتُ المطرْ
كنتُ أُبصرهُ:
ناعماً
نائماً
نافذاً في الحشائشِ مثلَ الهواءِ
ولكنني، سوفَ أحتفلُ، الليلةَ!
الليلَ...
سوفَ أحفَلُ بالكونِ:
إني سمعتُ المطرْ!
كان كالطيرِ ينقرُ ذاكَ الزجاجَ المضاعفَ
يسألُ أن يدخلَ... الآنَ
ماذا سأفعلُ يا امرأتي؟
كوخُنا، أنا أعني الصريفةَ، في البصرةِ الطينِ
حيثُ وُلِدتُ
وحيثُ عَرَفتُ...
يردِّدُ صوتَ المطرْ
والرعودَ

ويأّذَنُ للطفلِ أن يبصرَ البرقَ،
يأْذَنُ للأم أن تحتفي بالمطرْ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
سوف أخرجُ من ظُلمةِ البيتِ في رِيفِ لندنَ
(قبري)
وأرقصُ تحتَ المطرْ!

لندن، ٠٨/ ١٢/ ٢٠١١

رؤيا عام ٢١١٢

أتملّــى سماءَ الشتاءِ بلندنَ، هذا المساءَ.
السماءُ التي قد تُرى،
لا تُرى.
والصقيعُ المبَكِّرُ في العشبِ
أو في الزجاجِ الثخينِ لسيّارتي، وهي تهمدُ في الساحةِ
الليلُ يدخلُ (قبل الأوانِ)؟
ولكنه الليلُ...
يأتي، سُدىً بهواجسِهِ، والكلامِ عن الليلِ...
هاأنذا
أتملّى السماءَ التي لا أرى
أتملّى العراقَ الذي لا أرى:
رُبّما بعدَ قرنٍ، يعودُ العراق
وفي العامِ ٢١١٢
مثلَ ما هو في هذهِ اللحظةِ...
سوفَ يأتي لنا مقتدى الصدر بالأغنيات
ويأتي الصبيّ المعمّمُ عمّارُ بالراقصاتِ
ويأتي لنا المالكيُّ بألويةٍ من طُوَيريجَ، متخَمةٍ، ومدجّجةٍ

سوف يأتي لنا البارزانيُّ
والطالبانيُّ
بالشقشقاتِ . . .
. . . .
. . . .
. . . .
الطريقُ طويلٌ إذاً يارفيقي!

لندن، ١٠/ ١٢/ ٢٠١١

رُبــاعيّـــةٌ

غيومٌ رمادٌ تُـغطِّـي أعالي التلالِ
البحيرةُ قد أوشكتْ تتجمّـدُ،
والطيرُ غابْ.

سنذهبُ عصراً إلى حانةِ القريةِ
البيرةُ ابتردَتْ
والستائرُ مثقلةٌ بالضّبابْ.

تظلُّ الكنيســـةُ، دوماً، كما هيَ، في السفحِ
في الساحةِ، الـجُـنْـدُ قتلى
وفي الـبُرجِ كان الغرابْ.

مساءٌ بلا لَـوعة، أو شُـــموعٍ لذكرى
مساءٌ، و لا مِن أغانٍ
مساءٌ يُطَـوِّحُ بي في الـمـفازةِ، حيثُ الخرابْ.

لندن، ٢٠/ ١٢/ ٢٠١١

نهار أحد مشمس في مونمارتر

سوف ترقى بطيئاً لكي تبلغَ الساحةَ
الناسُ ظلّوا
قروناً
على مَـهْلِهِم، يـصـعدون إلى الساحةِ الوثنيّةِ
مثلَ الحجيج

القديمِ.
الشوارعُ مرصوفةٌ بالحجارةِ
والساحةُ الوثنيّـةُ مرصوفةٌ بالورَقْ.
كنتُ أسألُ عن أصدقاءٍ قدامى، أقاموا، هنا،
يرسُمونَ

لكي يأكلوا

خبزَهم
وقليلاً من الجـُبْن مُـمْـتَـضَـغـاً والنبيذ. . .

لم يَـعُـدْ أحدٌ منهمو!
غادَروا
غادَروا كلُّهم. . .
أينَ؟
لكنّ ساحةَ مونمارتر الوثنيّةَ تكتظُّ، مرصوفةً بالورقْ
والشوارعُ،
. كالأمس، مرصوفةٌ بالحجارة
قد غابَ مَن كنتَ تعرفُ
غابوا
وشابوا
وذابوا من القهر. . .
لا ترتعبْ!
لا تَقُلْ
للشوارعِ، حتى ولو أنكرَتْـكَ: وداعاً
هيَ أُمُّـكَ
قد أرضعَتْـكَ جنونَ
المسيرةِ
*
فَـلْـنَحتـفِـل!

لندن، ٢٢/١٢/٢٠١١

قمرٌ في الشتاء الإنجليزيّ

قمرٌ
خنجرٌ من نحاسٍ
هلالٌ تُـكسِّـرُهُ غابةُ الليلِ. . .
لا نجمةٌ.
قمرٌ في شتاء القذى الإنجليزيّ
محتقَرٌ
ذابلٌ
خاملٌ
لا عيونَ تُتابعُهُ
لا أغانيَ تتبعُهُ
قمرٌ ليس للشعراءِ
(تراهم جميعاً بحاناتهم)
ولا للصبايا
(ترنّحْنَ في الغُرُفاتِ الغريبةِ)
لم يبقَ إلاّ القمرْ
وحدَهُ. . . في المتاهةِ

. . . .

. . . .

. . . .

لكنّ شخصاً نحيلاً
يقفُ الآنَ، محتجَزاً، هو والليل
يفتح نافذةً
ويُطيلُ الوقوفَ
يُطيلُ الوقوفَ
إلى أن يغيبَ القمرْ. . .

لندن، ٢٨/ ١٢/ ٢٠١١

صلاةٌ في ٣١ كانون أوّل ٢٠١١

مطرٌ، ناعمٌ ناعمٌ، أبيضُ
الشجرُ الأجردُ المـتطاولُ عبرَ السياجِ
بدا غاطساً في الحليبِ.
الظهيرةُ قد أُدْمِجَتْ تحتَ قُرْصِ الأغاني
أغاني النساءِ اللواتي ترنَّحْنَ في شمسِ إفريقيـا...
نحنُ نشربُ شاياً بلا لَذْعةٍ بالحليبِ،
لقد طفحتْ بالحليبِ المزاريبُ
والساحةُ انكفأتْ في بياضٍ من الـبَـرَصِ...
المرأةُ، اليومَ، تُخْـلِفُ موعدَها، عادةً.
والرجالُ ينامونَ حتى الظهيرةِ
والشمسُ قد سافرَتْ نحو إفريقيا.
....
....
....
سوف أتْـبَـعُ شُــؤبوبَـها بصلاتي، إذاً!

لندن، ٣١/ ١٢/ ٢٠١١

المستحيل

أتملّى السماءَ الشتائيّةَ:
الشجرُ الـتَـفَّ بالمعطفِ الأبديِّ
الطيورُ تهاجرُ. . .
لكنْ إلى أينَ؟
ثَمَّ ســـماءٌ
و ثَمّـتَ أرضٌ
وبينهما ليس إلاّ الهواء. . .

لندن، ٠٢/٠١/٢٠١٢

نـقّـارُ الخشبِ

نقّارُ الخشبِ الزائرُ لم يأتِ بدايةَ هذا العامِ، كما اعتادَ
وكما اعتدتُ. . .
والدّوحةُ ظلّتْ عاريةً، جاهزةً، تنتظرُ
لكنّ النقّارَ تخَلَّفَ:
لم يأتِ بدايةَ هذا العامِ!
كأنّ النقّارَ أحَسَّ بأني أَحتاجُ إلى أن أسأله شيئاً
(هل يتنبّــأُ نقّارُ الخشبِ؟)
لكنْ، لو جاءَ، إلى الضيعةِ، نقّارُ الخشبِ، اليومَ
وأنشَبَ في الجِذعِ، المنقارَ الإزميلَ،
وصارَ يدقُّ
يدقُّ
لقلتُ لهُ:
امنحْني يا نقّارَ الخشبِ الزائرَ، منقارَكَ، بضعَ دقائقَ
بضعَ دقائقَ، حَـسْــبُ!
امنحْني منقارَكَ
كي أفقأَ عينَ السيكلوبِ
وأنجو من حبســـي!

لندن، ٢٠١٢/٠١/٠٤

الأطلال

ليست الأطلالُ ما نهجسُهُ
أغنيةً
أو نجتليهِ
شاخصاً يَبْلى مع الريحِ . . .
هي الأطلالُ تنمو خِلْسةً
كالعشبِ
تغفو، خلسةً، كالعشبِ
تذوي، خلسةً، كالعشبِ.
والأطلالُ ليستْ حجراً
أو رملةً
أو ما تَبَقّى من رمادِ الموقدِ.
الأطلالُ
ما تُمسكُهُ الراحةُ، من أيّامنا، كالماءِ. . .
ما نُمسكُهُ، نحن، من الأرضِ الهباء!

طنجة، ٢٠١٢/٠١/٢٤

يقظةُ الأحدِ

أنت في فجر طنجةَ لستَ تُــفَــرّقُ
بينَ صُراخِ النوارسِ جائعةً
ومُواءِ القططْ!
ذلك الأطلسيُّ القريبُ من الــنُّــزْلِ يمنحُكَ الوهمَ:
في قارةِ الغرَقِ العذْبِ أنتَ
وبين ذراعَي عروسةِ بحرٍ تحبُّكَ. . .
هاأنتذا
تترجّحُ بين النعاسِ المضمّخِ والصحوِ
بين النوارسِ والقططِ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
الشمسُ تدنو من النافذةْ.

طنجة، ٢٢/ ٠١/ ٢٠١٢

في مساء المرفأ

ثلاثُ نوارسَ
دارتْ، مسرعةً، حولَ هوائيّ الفندقِ
ثم مضتْ، مسرعة، نحو البحرِ.
مساءٌ يتمهّلُ في الطُّـــــرُقاتِ
وفي خطواتِ الفتَياتِ
وفي عرباتِ الباعةِ. . .
لكنّ الليلَ سيأتي، حتى في هذا الحيّ الشعبيِّ
سيأتي الليلُ. . .
وتنأى خُطُواتُ الفتياتِ
وتنأى عرباتُ الباعةِ.
. . . .
. . . .
. . . .
ثَـــمَّ ثلاثُ نوارسَ غابتْ
أينَ، تُراها، ستنام؟

طنجة، ٢٤/ ٠١/ ٢٠١٢

غيومٌ من الأطلســيّ

غيومٌ من الأطلسيّ
تجيءُ محمّلةً بالسنونو وبالنورسِ المتخاطِفِ والوردِ.
كان الصباحُ نديّاً
وكانت شوارعُ طنجةَ تلمعُ، تيّاهةً بسوادٍ أنيقٍ. . .
مناسبةٌ!
سوف ألبسُ، من أجْلِ هذا، قميصاً من الصوف، أسودَ!
سوف تكون المدينةُ جاهزةً لي:
أطوفُ بها
ثم أهبطُ، نحو النخيلِ على شاطيء البحرِ
ثم أعودُ إلى الغرفةِ الأبديّةِ
حيثُ أُلَـمْـلِـمُ نفسي
وما كنتُ فزْتُ به من مسيري، هذا الصباحَ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
ولكنني سوف أنسى المدينةَ

والناسَ

والبحرَ

حين أُحِسُّ بأنيَ لست المهدهَدَ بين ذراعيكِ

هذا الصباح!

طنجة، ٢٦/ ٠١/ ٢٠١٢

نساءُ «سوق المُصَلّى»

مطرٌ فوق طنجةَ. . .
هذا الصباحَ تكون النساءُ بـ«سوق الـمُصَلّى» بلا درهمٍ:
كيف يجلسنَ تحت المطرْ
يـبِــعْنَ الخضارَ
وأرغفةَ الخبزِ
والجبنةَ المنزليّــةَ؟
هذا المطرْ
نعمةٌ للمزارعِ، للأغنياءِ الأُلى يملكونَ المزارعَ
أمّا النساءُ بــ «سوق الـمُصَلّى»
النساءُ اللواتي يبِعْنَ الخضارَ وأرغفةَ الخبزِ
والجبنةَ المنزليّةَ. . .
فلتكُنْ رحمةُ اللهِ خيمتَهنّ التي ليس من رحمةٍ غيرها
في السماءِ السخيّةِ دوماً على الأغنياء!

طنجة، ٢٠١٢/٠٢/٠٢

ســاحة العاجزينَ

ثَــمّ، في «ساحة العاجزين» المدافعُ
تلكَ التي صبَّــها، منذُ قرنٍ، مغاربةٌ. . . غادَروا الأندلُس
والمدافعُ ظلّتْ مصَوَّبةً نحو ما كان يُعرَفُ بـ«الأندلس». . .
أنتَ تأتي إلى الساحةِ، الصبحَ
تأتي إلى الساحةِ، الليلَ
لكنّ تلكَ المدافعَ، قد تختفي، بغتةً. . .
قد تصيرُ قواربَ
أو شاحناتٍ
ورُبّــتَــما أصبحتْ طائراتٍ لنقلِ الجنودِ
أو السائحاتِ. . .
المدافعُ قد تتبدّلُ أسماؤها مثلَ ما تتبدّلُ أسماؤنا. . .
مثلاً:
إنّ اسمي. . . محمّد!

طنجة، ٠٤/ ٠٢/ ٢٠١٢

«العرائش» نهارَ المولد النبويّ»

كانت «ساحة إسبانيا» السابقةُ القَوراءُ، تضجُّ بأصواتِ الباعةِ
بالعرباتِ اليدويّةِ
والنسوةِ شيهِ الملتحفاتِ
تضجُّ بما لم يَكُ إسبانيّـاً
أو عربيّاً
ولم يكُ، بالطبع، أمازيغيّاً. . .
كانت «ساحةُ إسبانيا» تنهقُ مثل حمارٍ أرهقَه ما يحملُ.
مَن يتذكّرُ؟
مَن يذْكرُ أنّ نبيّاً وُلِدَ اليومَ لـتُرضعهُ خادمةٌ؟
أين محمدٌ الأوّلُ في الساحةِ؟
. . . .
. . . .
. . . .
في «ساحة إسبانيا» لافتةٌ من قطنٍ أبيضَ:
أغنيةٌ للسيّدةِ المصريّةِ:
وُلِدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ
وفمُ الزمانِ تبسُّمٌ وغناءُ. . .

*

في «العرائش» لا يُغَنّي أحدٌ:
الحانتان القذرتان: في الساحة، وعند البحرِ
الحانتان الوحيدتان
مغلقتان اليومً
وفي مثلِ هذا اليومِ
كلَّ عامٍ
كلَّ يومِ مولدٍ نبويٍّ.

طنجة، ٠٥/٠٢/٢٠١٢

البيت

أنا أبحثُ عن بيتٍ
منذ سنينٍ وأنا أبحثُ عن بيتٍ
كم بلدانٍ طوّفْتُ بها وأنا أبحثُ عن بيتٍ!
كم قاراتٍ!
كم أثوابِ نساءٍ. . .
كم ساحاتٍ للقتلِ!
وكم كتُبٍ. . .
كم مدُنٍ!
وأخيراً:
أنا في طنجةَ أبحثُ عن بيتٍ
منذ سنينٍ وأنا في طنجةَ أبحثُ عن بيتٍ!
لكني سأعودُ (كما كنتُ) بلا بيتٍ
اللابيتُ هو البيتُ. . . إذاً!

طنجة، ٠٧/ ٠٢/ ٢٠١٢

خواطر ٨ شباط

في غرفةِ الفندقِ
بالرغم من النافذة المحكمة الإغلاقِ
بالرغم من الستارةِ المسْدلةِ. . .
النورسُ يبدو لكَ، تيّاهاً، مع الغفلةِ،
بل تسمعهُ
عند هوائيّ الإذاعةِ؛
النورُ الذي تتْبعُهُ حتى ولو حفرةِ الديجورِ
يبدو لك، بغتةً. . .
من أين هذا النورُ؟
والنورسُ؟
إن الغرفةَ الباردةَ الفقيرةَ الجرداءَ في الفندقِ
لا تسمحُ حتى باحتمالِ الوهمِ. . .
لكنك تيّاهٌ مع النورسِ
تيّاهٌ مع النورِ الذي لم يكنِ. . .
الغرفةُ في عتمتِها، ملتفّةٌ. . .
أنت وحيدٌ
قانطٌ

تنتظرُ الفجرَ الذي سوف يهِلُّ
اليومَ
أو بعد قرونٍ. . .
لكَ أن تفعلَ ما شِئتَ
وأن ترقصَ والنورسَ في غرفتكَ. . .
الفجرُ سيأتي!

طنجة، ٠٨/ ٠٢/ ٢٠١٢

الإسلامُ ديناً

كان الإسلامُ، الحائطَ
آخرَ ما نلتاذُ به، حين تضيقُ بنا

الدنيا
ويحاصرُنا الأعداء . . ،
الإسلامُ هو

الجذعُ
الـمُدّرَعُ
الخيمةُ حينَ يُطيحُ الأعداءُ البيتَ
الإسلامُ هو

المنبِتُ
والنبْتُ
وآياتُ حُفاةٍ وشُـــراةٍ
الإسلامُ
عليٌّ

عُمَرُ
الخنساءُ
وطارقٌ بنُ زياد
الإسلامُ هو المرأةُ في السوقِ

هو الشاعرُ في الدسكرةِ
الإسلامُ هو الحريّةُ في ألاّ تؤمنَ

بالإسلامِ
ليس الإسلامُ قميصَ الأميركيّ
ولا جزمةَ ذاكَ النرويجيَ
أو الغاليَ،
وليس سلاحَ ذوي الأحداقِ الزُّرقِ
الإسلامُ
هو
الحلمُ بآخرةٍ بيضاءَ
وأسرابِ حَمام...

طنجة، ١٢/ ٠٢/ ٢٠١٢

سـلامٌ من هناك

وكيفَ يومُكَ؟

كان الليلُ يهبطُ . . .
والأشجارُ تُمسي رصاصاً .
هل تحيّتُها، تلك البعيدة، تُدْنيني؟
هل اقتربَتْ مني الروائحُ؟
نَدٌّ نافذٌ
عبَقٌ من دوحةِ التين
ضوءٌ من مَنابتِ فخْذَيها . . .
وضحكتِها :
وكيفَ يومُكَ؟

يا مَن أستريحُ لها، وهي البعيدةُ
يا مَن أستريحُ إلى انكسارِ لَـثغتِـها
لا تقطعي هاتفاً في الليلِ
واتّـرِكي لي أن أُمَصْمِصَ ما تحكينَ . . .

أن أجدَ النبضَ الخفيَّ
وأن أستروِحَ العِرْقَ، حتى يستوي عرَقـــا. . .

وكيفَ يومُكِ؟

لندن، ٢٧/ ٠٢/ ٢٠١٢

ضَـبـاب

لا تلوحُ المراكبُ في النهرِ
والشجرُ المتباعدُ يندسُّ، مختفياً في مُلاءةِ قطْنٍ سماويّةٍ
وحدَهُ، السورُ، ينهضُ أسْودَ بين البياضِ
الطيورُ التي غرّدتْ في الصباحِ المبكِّــرِ، تصمتُ
والنورُ يشحبُ حول زجاجِ المصابيحِ.
والعشبُ تَــغْـــمُــقُ خُضرتُهُ.
لن تجيءَ الحمائمُ
قد أغلقَ الدَّغْلُ أبوابَـــهُ...
واختفى،
في الضّـــباب.

لندن، ٠٢/ ٠٣/ ٢٠١٢

تنويع على «ما مقامي بأرض نخلةَ» للمتنبي

ما مقامي بريفِ لندنَ إلاّ كمقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ، الليلُ أعمى، والهاتفُ الأسوَدُ ملقىً، هامدٌ في بُحيرةٍ من همودٍ
ليس من زائرٍ. تلَبَّثَ حتى الطيرُ. أمّا أبناءُ جِلْدي العراقيّونَ... لا تنْكأ الفضيحةَ و القيحَ! رذاذٌ على النوافذِ. ريحٌ لا أُحِسُّــــها دخلتْ بين قميصي والجِـلْدِ. ماذا سوف ألقى إنْ عشتُ عاماً آخرَ؟
الهاتفُ ملقى.
والموتُ دونَ شهودِ...
خَـــلِّها،
خَـــلِّها تمرُّ
سأبقى، الفرْدَ، سيفاً
لم يذهب الناسُ الأُلى قد حـبَـبْــتُهمْ.
إنهم في كلِّ غصْنٍ خَضــدْتُــهُ
إنهم في كلِ كأسٍ شربتُها
كلِ رقصي
من ركعةٍ وســـجودِ.
....
....

. . . .

ما مقامي بريفِ لندنَ إلاّ كمقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ
لستُ ألقى سوى العجائزِ
بُرْصاً
والمريضاتِ
من ليالي الجنودِ.

*

ما مقامي بريف لِندنَ إلاّ كمقامِ المسيحِ بين اليهودِ.

لندن، ٢٠١٢/٠٣/٠٤

أفقرُ الفقراء

لم تبْقَ أرضٌ لم تحاولْ أن تُـثَـبِّتَ خيمةً فيها؛
هل الأَرَضونَ قُدَّتْ من حديدٍ؟
ربّما. . .

❊

و الآنَ، في السبعينَ،
يبدو المشهدُ الأبديُّ أوضحَ:
لن يرى فان كوخ أرحمَ من طبيبٍ للمجانينِ.

❊

الحياةُ جميلةٌ
وجديرةٌ أبداً بأن نحيا بها. . .
الأشجارُ تحيا
والعصافيرُ،
القنافذُ
والذئابُ
النملُ، والحلزونُ، والأفعى الجميلةُ

❊

لا تَقُلْ لي إنني أمسيتُ كالشعراءِ!
إني أفقرُ الفقراءِ
كم حاولتُ، حتى هذه السبعينَ، شيئاً تافهاً
وفشِلْتُ:
تلكَ الخيمةُ!

لندن، ٢٠١٢/٠٣/١٢

التحديقُ إلى الأسفل

أنا في أعلى التلّ
لقد جاهدتُ طويلاً، منذ الفجرِ، لأبلغَ أعلى التلّ
حِـدَأٌ تتمهّلُ في الريحِ
القريةُ في القاعِ:
كنيستُها
ومنازلُها
و البارُ الأقربُ من مدخلِ نادي الغولفِ.
الآنَ أرى ما لستُ أرى:
وطناً أعلنَ منذ ٢٠٠٣ - أنا مستعمرةٌ
أمّا أبناءُ الوطنِ المعلَنِ في لندنَ
(ليس عراقاً)
أعني من يكتبُ حرفاً
أو يرسُمُ ظِلْـفاً
أو يتوهّمُ ضربَ الطبلةِ والعود . . .
إلخ.
فقد اختاروا، منذ ٢٠٠٣
وبكل الإصرار:

CIB

NI5

NI6

إلخ . . .

كم هم سعداءُ!

ولكني في أعلى التلّ

في القمّةِ

تبدو القريةُ في القاعِ، البلْقَعَ

تبدو اللاشيءَ.

. . . .

. . . .

. . . .

ولكني سأظلُّ بأعلى التلّ!

أظلُّ كتلكَ الحِدأِ اللاتي تتمهّلُ في الريحِ

بأعلى التلّ. . .

لندن، ١٣/ ٠٣/ ٢٠١٢

استمطار

اليومَ
كادتْ غيمةٌ بيضاءُ تدخلُ غرفتي
(أعني بأُوتيل رِيتز)
Ritz Hotel
كادتْ، في الحقيقةِ، تدخل غرفتي؛
حتى لقد فتّحتُ نافذتي لتدخلَ:
أقْبِلي يا غيمتي البيضاءَ. . .
أنتِ أتيتِ عبرَ مضيقِ سبْـتـةَ
من شمالِ العالَمِ:
الفقراءُ ينتظرونَ ماءً منكِ
ينتظرونَ أن تغدو الحقولُ، بلحظةٍ، خضراءَ
ينتظرون أن تتشرّبَ الراحاتُ بالماءِ المقدّسِ منكِ؛
ينتظرونَ، والأطفالَ، أغنيةَ السنابل. . .
فاسمعيهمْ
ولتكوني غيمةً سوداءَ. . .
كوني غيمةً سوداءَ

سِـــيري نحو «مكناسَ» البعيدةِ
واهطِـلي
ليكونَ طعْمُ نبيذها، القاني، ألَــذَّ!

لندن، ١٦/٠٣/٢٠١٢

القدّيس الإيرلنديّ

قدّيسُ إيرلندةَ سانت باترِك
Saint Patrick
تراه اليومَ في الحاناتِ:
ملفوفٌ وخنزيرٌ وما يطفحُ من بيرتها السوداءِ. . .
(مجّاناً!)
ودوماً، كنت أمضي، ظُهرَ هذا اليومِ نحو البارِ
كي أحظى بملفوفٍ وخنزيرٍ
وبالبيرةِ مجّاناً. . .
ولكنيَ لم أذهبْ هناكَ اليومَ؛
لم أذهبْ لأني كنتُ وحدي:
ليس من سيّدةٍ تُعينني على احتمالِ العيدِ و الملفوفِ والخنزيرِ. . .
هل كنتُ شقيّاً؟
ربّما
ليس لأني لم أكنْ في البارِ. . .

لندن، ١٧/٠٣/٢٠١٢

Rue de la Verrerie دربُ الزَجّاجين

قبل عشرين عاماً وأكثرَ كان الطريقُ إلى الدرْبِ طَوفي الذي أتشبّثُ بالحبْلِ منهُ،
لقد كدتُ أغرقُ في مَهْمَـهٍ من أزقـّـةِ باريسَ. ما قالَ لي أحدٌّ: مرحبـاً.
لم أجالسْ بمقهىً، صديقاً. و لا قالت امرأةٌ: كيف أنتَ؟ أمُرُّ على واجهاتِ المخابزِ، أستافُ رائحةَ الخبزِ. ثَمَّ تلالٌ من الجبْنِ.ثَمَّ شــواءٌ وجــابيـةٌ من نبيذ. لقدكدتُ أسقطُ جوعاً. قميصي تَهدّلَ. والبصَرُ الـمَحْـضُ غامَ.
وفي مثلِ معجزةٍ،
مثل ما كان يَحْدُثُ للأنبياءِ
أتتْني مع الظُّهرِ... آنُ التي هي مريمُ.
قالت: سلاماً.
أقِمْ ههنا
ادخُلْ
ولا تخف...
البيتُ بيتُكَ.

أرجوكَ:
فتّحْتُ بوّابةَ اللوحِ
طهّـرتُها بزجاجةِ ماءٍ من النهر. . .
فادخلْ!

لندن، ٢٠/٠٣/٢٠١٢

ليليّةٌ في ليلٍ عاصفٍ

أصخرةٌ في مهبّ الريحِ، أنتَ؟
إذاً
لأيّ معنىً تهبّ الريحُ؟
ربّتما أرادت الريحُ أن تنأى. . . وتهدأَ
أنتَ، اللحظةَ، الصمَدُ
والريحُ تعرفُ أن الصخرةَ احتفلتْ بعُسْرِها
فكأنّ الريحَ تُخْتضَـدُ. . .
تقولُ:
وحدَكَ
لا أهلٌ
ولا بلدُ،
وليس مَن تُغْمِضُ العينينِ إنْ دنتِ المنـيّـةُ.
أنت الواحدُ الأحدُ. . .
فاهدأْ
وكُنْ مثلَ ما أنتَ:
الطريقُ إلى بغدادَ أعقَدُ ممّا كنتَ تعتقدُ.

فاهدأْ
ودعْ طائرَ الليلِ الشحيحَ يقُلْ شيئاً؛
ودعْ ريحَ هذا الليلِ تـتّـئـدُ. . .

لندن، ٢٦/ ٠٤/ ٢٠١٢

الهاتـفُ يخـتـنـقُ

كانت تئِنُّ . . .
الصوتُ عبْرَ الهاتفِ المبحوحِ مختنقٌ.
وفي طرَفِ الحديقةِ، عند بابي، صفرةٌ من كستناءَ عتيقةٍ.
في نبتةِ الزيتونِ، ثَـمَّ، براعمُ اخضرّت، وأتلعت الرؤوسَ بـخُضرةٍ
صفراءَ
كالزيتونِ. . .
كان الصوتُ مختنقاً:
أُحِـبُّـكَ!
كيف غادرتَ المدينةَ، هائماً، في الفجرِ؟
كيفَ عرفتَ أن تصلَ المحطّةَ؟
ليس من تاكسي، هنا، في الفجرِ؟
لا عرباتِ خيلٍ
لا زوارقَ، بَعْدُ، في القنَواتِ. . .
كيفَ بلغْتَ مُنتبَذاً بلندنَ، قبلَ أن أصحوْ؟
أُحِبُّكَ!
أنت دوماً هكذا. . .
. . . .

. . . .

. . . .

هل تذكرُ البارَ القديمَ، هناك في باريسَ. . . حيثُ الشاحناتُ،

وسائقوها الأشقياءُ؟

ألم تغادرْ، فجأةً، كاليومِ؟

لكني أحبُّكَ.

أنتَ دوماً هكذا. . .

لندن، ٣٠/ ٠٤/ ٢٠١٢

مَن صبَرَ ظفَرَ....

أن تبلُغَ شقّةَ أوكتافيا
يعني أن تصعدَ سُلَّمَها الخشبَ الضيِّقَ
مثلَ سلالمَ تعرفُها في سفنِ الشحنِ. . .
وأن تصعدَ يعني أن تصمُدَ في وجه الكلبَينِ وإنْ كانا مرِحَينِ.
وأن تصعدَ يعني أن تتأكّدَ من أنكَ لن تتدحرجَ حتى الأسفلِ، من لوحٍ مكسورٍ. . .
هذا إنْ كنتَ بكاملِ صحوِكَ. . .
شقّةُ أوكتافيا
ليس بها غرُفاتٌ:
مركبةٌ لقطارٍ، شقّةُ أوكتافيا
معرضُ لوحاتٍ
وتماثيلَ
ومَكْدَسُ آياتٍ من مدنٍ شتّى. . .
لكنّ لأوكتافيا مائدةً قوراءَ، بها كأسانِ
وكرسيّانِ
ومضغةُ جُبْنٍ أبيضَ في خبزٍ أســـودَ.
والكلبانِ يدورانِ

ورُبّتَما اختطفا الجبنَ الأبيضَ في الخبزِ الأســـودِ. . .
أنت تقول لها: أوكتافيا!
أرجوكِ
دعي الكلبَينِ يدورانِ بعيداً. . .
أوكتافيا تبتسمُ:
يا سعدي أعرفُ مُـذْ كنّا في باريسَ حقيقةَ أنك لستَ سعيداً بثقافةِ كلْبٍ
والآنَ:
أمامكَ كلبان!

*

اصيرْ
سأجيئكَ بالويسكي!

لندن، ٠٧/ ٠٥/ ٢٠١٢

أبولِّيْنَير Apollinaire

كان «سوقُ البراغيثِ» يفتحُ أولى صناديقِهِ
ومغاربةٌ قدِموا قبلَ شهرٍ من «الريفِ» يفتتحون الضحى.
كان غيمٌ شفيفٌ يحاولُ أن يتكثّفَ أسودَ...
بردٌ خفيفٌ.
أقولُ لأوكتافيا:
ندخل الآنَ في البارِ
سوف يجيءُ المطرْ!

*

نحن في الركنِ...
في بغتةٍ، كان «سوق البراغيثِ» يَنقَعُ تحت المطرْ.
نحن في الركنِ، نستقبلُ الهاربين من المطرِ.
امرأةٌ جلستْ معنا.
قدّمتْ زوجَها الكهلَ.

*

كتّافيّةُ ضابطِ صَفٍّ من جيشٍ أحمرَ كانت في أعلى بيريّـتِـهِ.

*

كان «سوقُ البراغيثِ» يدخلُ في البارِ.

والكهلُ يدخُلُ في رشفةٍ من نبيذٍ
وأوكتافيا طلبتْ جبنةً ونبيذاً. . .
لقد كان أربعةٌ يدْفأون بعيداً عن السوق والقادمِ المغربيّ وأوصافِـهِ وبضاعتِهِ.
كان أربعةٌ يُنشِدون
كان في الركنِ:
جسرٌ
وماءٌ
وأبولينَيــر!

لندن، ٠٨/ ٠٥/ ٢٠١٢

الهــدوء

بعد أن مُرِّغتْ «عطلةُ المصرفيّين» في وحل أقداحِ بيرتِها
وخراءِ النساءِ الدميماتِ
والشاشةِ الكيلومترِ (الرياضيّةِ)...
الآنَ يهدأُ حتى اليمامُ.
وتهدأُ جـنّـيّـةُ الغابةِ.
الدربُ يهدأُ
والساحةُ العامّةُ.
الفتياتُ اللواتي فقدنَ مع العطلةِ الوثنيةِ عُذْريّـــةً، صرنَ يهدأْنَ أيضاً.
لقد هدأَ السامرُ
الإمبراطوريّةُ الوهمُ تهدأُ.
....
....
....
إني أنام.

لندن، ٠٨/٠٥/٢٠١٢

بَيــاضٌ

الـمرْجُ زهورٌ بِيضٌ
درْبُ الحيّ السّكنيّ الموحشِ (حيثُ أُقِيمُ) زهورٌ بيضٌ
سقفُ دفيئةِ جاري الأسكتلنديّ زهورٌ بيض
ساحتُنا الخـلْـفـيّةُ والبستان زهورٌ بيض
مَرقَى البيتِ زهورٌ بيض
فوق قميصي الورديّ زهورٌ بيض
وحذائي في الممشى ملأتْـهُ زهورٌ بيض
وعلى السيّاراتِ (كأنّ زواجَ الإسكندرِ حَلَّ) زهورٌ بيض
بابُ الحانةِ غطّـتْـهُ زهورٌ بيض
وعلى شَعري تاجٌ ضفَرَتْهُ زهورٌ بيض
وصديقتيَ النمساويّةُ تصنعُ (في الموسمِ) حلوى من زُبْدٍ وزهورٍ بيض
. . . .
. . . .
. . . .
لكنّ فراشـــي الباردَ
ليس به أيُّ زهورٍ بيض!

لندن، ١١/٠٥/٢٠١٢

اعتــذارٌ

مضى صيفُ القرنفلِ . . .
لا تَقُلْ لي : أجيءُ غداً إليكَ
وثَمَّ كأسٌ ستجمعُنا
وأسماكٌ
ونخلٌ .
ولا تلجأْ لسومرَ، والمراثي ببابلَ، والسوادِ . . .
إلخ
إلخ . . .
لا !
مضى صيفُ القرَنفُلِ
واستقرّتْ عميقاً وردةُ الزرنيخِ .
أبعِدْ
ولا تأتِ .
العراقُ الذي أحببتَ لم يَعُدِ .
العراقُ الذي أحببتُ لم يَعُدِ . . .
انتظرْنا

وانتظرْنا.
قد مضى صيفُ القرنفلِ
وانتهَينا. . .

لندن، ٢٣/ ٠٥/ ٢٠١٢

منظرٌ صباحيٌّ

في الغبْشـــةِ
كان ضَبابُ الغابةِ أبيضَ أزرقَ
والطيرُ بلا صوتٍ؛
ثـمّتَ، عند قناة الماءِ العظمى، تبدو أشباحُ مَراكبَ
خيطٌ من مدخنةٍ يتلوّى صُـعُـداً.
لا هجْسَ حفيفٍ من شجرٍ
لا رفّـةَ من أجنحةٍ أو أهدابٍ. . .
لَكأنَّ اللحظةَ جامدةٌ
وكأنَّ العالَمَ لم يتكوَّنْ بَعْدُ.

لندن، ٣٠/ ٠٥/ ٢٠١٢

أُحِبُّ النحيلةَ

أُحِبُ النحيلةَ
تلكَ التي تتثنّى،
وقد تنثني
مثلَ ما ينثني الخيزرانُ المبلّـلُ...
في اللحظةِ الصّعْبِ
في لحظةِ الـحُبِّ
....
....
....
إني أحبُّ النحيلةَ
يا طالَ ما طوّقتْني بأرجوحة الخيزرانِ
بساقَينِ من قصبٍ سُكّرٍ
وبنهدَينِ لم يـبْـزُغا بَعْدُ...
إني أحبُّ النحيلةَ
إني أحبُّ الحياةْ!

لندن، ٣١/ ٠٥/ ٢٠١٢

رِضـــــا

هل تريدين أن تعرفي بعضَ ما أنا فيهِ:

الزهورُ التي لستُ أعرفُ أسماءَها، وسماواتِها
والسماءُ التي لستُ أبصِرُ أزهارَها
والمروجُ التي تتمرّغُ فيها الخيولُ مجلّلةً بالقطيفةِ
والنسوةُ المغْرَماتُ بيومِ القيامةِ
والكنيسةُ حيثُ الصبيُّ الذي يتعهّدُ إيقادَ كلِ الشموعِ
بنصْفِ جُـنَـيْـهٍ،
أقولُ:
الحياةُ مبارَكةٌ
والدروبُ مبارَكةُ السَّعْيِ
حتى وإنْ لم تُـؤَدِّ. . .

لندن، ٣١/ ٠٥/ ٢٠١٢

بَــدَهِـيّــةٌ

لستُ الـمُـقـامرَ
أنت تعرفُني، طويلاً، من نخيلِ أبي الخصيبِ
إلى تمارينِ الصباحِ بـ «نقرة السلمانِ». . .
حتى لندنَ. . . الآن!
انتبهْتَ؟
أريدُ أن تُصْغي إليّ الآنَ:
لم أكن المقامرَ
هكذا!
لكنني غامرتُ. . . كنتُ ولا أزالُ، هنا،
المغامرَ
لا الـمُقامرَ. . .
هل فهِمْتَ؟
عليكَ أن تُصْغي إليّ الآنَ!
واحفَظْ ما أقولُ
احفَظْ
نعمْ
عن ظَهرِ قلبٍ. . .

قُلْ لأهلي: بين دجلةَ والفراتِ، هنالكَ اسمٌ واحدٌ
هو ما ظللتُ لأجْلهِ، أبداً، أغامرُ
هو أوّلُ الأسماءِ
آخرُها
وأعظمُهـــــا،
وما يصِلُ الحمادةَ بالسماءِ:
هو **العراقُ** الأوّلُ **العربيّ**....

لندن، ٢٠١٢/٠٦/٠٤

الكلامُ الكريهُ

كيف تنسى المساءَ الخريفيّ في حانةِ «الأسدِ الأحمرِ»؟
السنواتُ تمرُّ، ورُبّتَما نسيَ المرءُ
(أفهمُ ذلكَ)
لكنّ ما قـلـتُـهُ، يا رفيقيَ، ذاكَ المساءَ الخريفيّ
أثقلُ من أن يقولَ امرؤٌ:
كدتُ أنساهُ
أو أتناســـاهُ. . .
في حانةِ «الأسدِ الأحمرِ» اللندنيةِ قلتُ:
العراقُ انتهى
منذُ أن قالَ أهلُ العراقِ، لـ «جورج بوش». . .
أنتَ الوليُّ
وأنتَ الفقيه
وأنت النبيُّ المسلّحُ تأخذنا خارجَ التيه؛
أقدِمْ!
أقِـمْ!
فالنساءُ اللواتي انتظرْنَ طويلاً، سباياك
غلمانُنا لجنودِكَ

والأرضُ لكْ
وما تكْنِزُ الأرضُ لكْ. . .
والفراتان ماءٌ لخيلِكَ
والله لكْ!
هكذا لن يدورَ الفلَكْ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
يا رفيقَ الضنى!
اليومَ
مرّتْ على جلسةِ «الأسدِ الأحمرِ» اللندنيةِ، عشْـرٌ. . .
نعم!
هل تذكّرتَ؟
لا!
هكذا لن يدورَ الفلَكْ!
هكذا، سأظلُّ أقولُ:
العراقُ انتهى!

لندن، ١٠/ ٠٧/ ٢٠١٢

حديقةُ الأميرة

أكنتُ أسيرُ في لاهاي؟

. . . .

. . . .

. . . .

تأتي الأميرةُ من حديقتها:

صباحاً

صباح الخير أيتها الأميرةُ!

يا صباح الخير. . .

هل أنتِ ساسْكِيا، أم نَوارُ؟

وهل لنهرِ الفواغي منتهىً تحتَ الوشاحِ؟

أُحِبُّكِ

التفِتي، نوارُ، إليّ. . .

زوروني

وكوني

تماماً مثلَ ما تأتي الأميرةُ من حديقتِها

مســـاءاً

دناخ، ٢٢/ ٠٧/ ٢٠١٢

القُبْلـــةُ

في ليل لاهاي المبكِّرِ
قبلَ أن تمسي السماءُ سحابةً
قبّلتُ
عند الشارعِ الخلفيّ، جِيدَ نوارَ
كانت لِصْقَ جذعٍ
هكذا استندَتْ
وقد غمغمتُ:
أيُّ العطرِ هذا يا نوارُ؟
تقولُ، والشَّعرُ الكثيثُ يلفُّني، والعطرُ:
لا تسألْ!
أُغمغِمُ:

اتّرِكي الكلامَ. . .
أريدُ أن تتقطّرَ اللحَظاتُ
أن أرضى بأني كنتُ، مجنوناً، أُقَبِّلُ جِيدَكِ
الشَّعرُ الكثيثُ يلفُّني

والعطرُ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

في مِثلِ الفُجاءةِ
والغباءِ
تحرّرتْ مني نوارُ. . .
وأطلقتْ سيّارةً للريحِ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

كان الشارعُ الخلفيّ مختلفاً
وكنتُ أسيرُ عبرَ مدينةٍ أخرى!

لاهاي، ٢٤/ ٠٧/ ٢٠١٢

غفلـةٌ

آهِ. . .
لا بُدَّ
أنّ الذي يتراءى، وما لا ترى:
مطرٌ.
غيرَ أنكَ في ظُلمةٍ، لا ترى.
أنتَ لستَ تُحِسُّ بما أرعشَ الشجرةْ
أنتَ لستَ تُحسُّ بما جعلَ الطيرَ يدخلُ في الشجرةْ.
مطرٌ لا يُرى
مطرٌ قد أحَسَّ به الطيرُ قبلكَ
والشجرةْ.

مطرٌ سوف يهطلُ في الليلِ
تحتَ المخدةِ
أغزرَ ممّا دعا الطيرَ أن يحتمي بدمِ الشجرةْ
. . . .
. . . .

. . . .

وهاأنتذا

مثلَ أعمى

ترى!

أمستردام، ١١/٠٨/٢٠١٢

في المقهى مع قهوة سوداء بلا سُكّر

مَن كان يعرفُ أنّ عُمقَ البحرِ مرساتي التي انجرفَتْ؟
أُفيقُ مُـدَوّخاً
لا تلكما العينانِ ثابتتانِ
لا الخُطُـواتُ تعرفُ أين تمضي. . .
والسماءُ كثيفةٌ،
مطرٌ
رصاصٌ باردٌ،
شفتانِ يابستانِ.
أحياناً، أفكِرُ أنّ أغنيتي الأثيرةَ:
أن أموتَ. . .
كما يموتُ الطحلبُ البحريُّ،
أخضرَ. . .
هل تظنّينَ الحياةَ كريمةً؟
أعني:
أحقٌّ أن تُعاشَ؟
لقد تعبْتُ. . .

فأصدِقيني القولَ، يا ميسون
أسْدي لي النصيحةَ:
هل أظلُّ مُرَنَّـــحاً بين ارتساماتِ النبوّةِ والجنون؟

أمستردام، ٢٠١٢/٠٨/١٤

لقد ضاقتْ بنازلةٍ ذراعي!

«أقِلِّي قد أضاقَ بُكاكِ ذرعي
وما ضاقتْ بنازلةٍ ذراعي»
أبو تمّام

لم تُعطِني مفتاحَ شقّتِها
و لا العنوانَ حتى . . .
ربّما خوفاً؟
تخافُ عليَّ . . .
أم منِّي؟
لقد خلّفتُ لندنَ، ثم باريسَ الضواحي
كي أُلامِسَ في يديها رقّةً نَدُرَتْ
وكي أحظى بمرآها تهروِلُ نحو مَهوى الموجِ في بحر الشمالِ
وكي أُقَبِّلَها ولو فوقَ الجبينِ . . .
. . . .
. . . .
. . . .
تعبتُ منها؛

من متاهتِها: الـمُطارِدِ والـمُطارَدِ. . .
بل تعبتُ من الكلامِ
من المجاملة التي تَزِنُ الحروفَ كأنّها ذهبٌ!
ومن سفَري تعبتُ
من المساءِ تعبتُ
من نفسي تعبْتُ!

لندن، ٢٥/٠٨/٢٠١٢

شمسٌ ساطعةٌ في أوائل أيلول

القطارُ يمرُّ على الجسرِ
عبْرَ القناةِ العريضةِ. . .
هذا القطارُ المجلجِلُ يمضي إلى حيثُ لا أعلَمُ.
الصبحُ يُشْمِسُ
أينَ القطارُ المُدَرَّعُ؟
أين البلاشفةُ الحالمون مع الصبحِ؟
أين البلاشفةُ الحاملون مع الصبحِ راياتِنا الحمرَ
فوقَ القطارِ المدَرَّعِ؟
. . . .
. . . .
. . . .
كان القطارُ يمرُّ على الجسرِ
عبرَ القناةِ العريضةِ.
ينتصفُ اليومُ:
الساعة ١٢
حانَ موعدُ كأسِ الجــعةْ

لندن، ٢٠١٢/٠٩/٠٤

إحدى وعشرون إطلاقةً متأخرةً لأدريان ريتش

سنواتٌ عشرٌ عجاف

نعم يا عزيزتي أدريان ريتش.

Brera Café

نعم يا عزيزتي، المقهى إيّاه حيث اعتدتُ أن ألقى أناساً قد لا يكونون أحبّةً، لكني ألتقيهم على أي حال، ليكونوا أحبّةً مع أنفسهم في الأقل.
في مقهى بريرا التقيتُكِ.
كنتِ أكرمَ من رأيتُ في هذا البلد الأمين.
أهديتِ لي كتابكِ
متضامنةً.
كان احتلالُ بلدي وشيكاً.
لكنكِ ملاكُ الحريّة. تضامنتِ معي، يا أدريان ريتش، بينما أبناءُ بلدي هنا، في لندن، وهناك في الأرض الأخرى، كانوا مولعين بشتمي لأني ضد احتلال بلدي من جانب الإدارة الأميركية. هم لايزالون يشتمونني يا أدريان ريتش لأني ضد الاحتلال. ومن بين

هؤلاء رفاقٌ لي لم يُسَمـوا الاحتلال احتلالاً حتى الآن.
ماذا أقول؟
القهوة التي شربناها كانت مُرّةً.
القهوة، قهوتنا، نحن المارقين، ستظلّ مُرّةً.
تذكّرتِ كولونتاي التي نفاها ستالين إلى سيبريا.
أنا الآن في المنفى.
أتعرفين يا أدريان ريتش أن لي في المنفى قرابة أربعين عاماً؟
رقمٌ قياسيّ؟
سارة ماغواير كانت معنا في المقهى.
كانت شاعرةً. هي الآن تشتغل في جامعة ذات سمعة. جامعة مثل جورج واشنطن التي تعرفينها جيداً.
عزيزتي أدريان ريتش
كنتِ في الحادية والعشرين حين اختاركِ أودن العظيم، لجائزة الشعراء الشباب، في جامعة ييل. بل أن الرجل كتبَ مقدمة ديوانكِ الأول!
لستُ أستعيدُكِ يا أدريان...
أنا أغنّيكِ
أغنّيكِ أيتها المرأةُ التي حرّرتْني من تفاهة الرجولة الرجولة .
سيظل طعمُ القهوة المُرّة في فمي.
طعمُ القهوة المـرّة سيظلّ في دمي.

لندن، ٢٠١٢/٠٩/٠٧

زمنٌ أميركيٌّ شـــماليٌّ

قصيدة لأدريان ريتش ١٩٢٩
١٦ أيّار- ٢٩ آذار ٢٠١٢
ترجمة سعدي يوسف

١

آنَ شرعتْ أحلامي تتبدّى
صحيحةً سياسيّاً
لا صوَراً مضطربةً
تَمْرُقُ عبرَ الحدود.
آنَ شرعتُ أمشي في الشارعِ
فأجد موضوعاتي جاهزةً لي
عارفةً ما لن أتحدثَ عنه
خوفَ أن يستخدمه الأعداءُ
بدأتُ أستغربُ.

٢

كل ما نكتبه
سوف يُستعمَلُ ضدّنا

أو ضدّ مَن نحبُّ.
ها هي ذي الشروط،
خذْها أو دعْها.
الشِّعرُ لا يَحتمِلُ إلاّ أن يكون خارج التاريخ.
بيتٌ مطبوعٌ قبل عشرين عاماً
سوف يتّقدُ على الجدار بالصبغ المرشوش
ليمجِّدَ الفنَّ سُمُوّاً
أو عذاباً لأولئك الذين لا نحبُّ
ولا نريدُ أن نقتلهم أيضاً.

نحن نمضي لكن كلماتنا تظلُّ
وتغدو مسؤولةً
أكثرَ ممّا قصَدْنا.

إن هذا لامتيازٌ في الكلام.

٣

جرِّبي أن تجلسي إلى آلةٍ كاتبةٍ
في أصيلٍ صيفيٍّ هادىء
إزاءَ طاولةٍ عند النافذة
في الريف، جرِّبي التظاهرَ

بأن زمنكِ غير موجود
وأنكِ، ببساطةٍ، أنتِ
و الخيال يشطحُ مثل فراشةٍ هائلةٍ، بلا مقصدٍ
جرِّبي أن تقولي لنفسكِ
إنكِ لستِ محاسَبةً
عن حياة قبيلتكِ
أو أنفاسِ كوكبكِ.

٤

لا يهمُّ بماذا تفكّرين
الكلماتُ توجَدُ مسؤولةً.
كلُ ما تستطعينه هو أن تختاريها
أو أن تختاري الصمتَ. أو أن ليس لكِ من خيارٍ آخر.
لهذا تكون الكلماتُ التي نختارُ
مسؤولةً.

إن هذا لامتيازٌ في الكلام.

٥

افترضي أنكِ ستكتبين
عن امرأةٍ تضفِرُ شَعرَ امرأةٍ أخرى –

مُسَرَّحاً إلى أسفل، أو بقواقعَ وخرَزٍ
في ضفائرَ ثلاثٍ مسترسلةٍ
أو في سنابل صفيفةٍ -
فإن عليكِ أن تعرفي الكثاثةَ
الطول النوع
لماذا تقرِّرُ أن تصففَ شَعرَها
وكيفَ كانَ
في أي بلدٍ
وماذا جرى أيضاً في ذاك البلد.

عليكِ أن تعرفي هذه الأشياء.

٦

يا شقيقتي، الشاعرة: الكلماتُ
أحببناها أو لم نُحببْها - تَشْخَصُ في زمنٍ لها.
لا جدوى من الاحتجاج كنتُ كتبتُ ذلك
قبلً أن تُنفى كولونتاي
قبلَ أن يتمّ اغتيالُ روزا لكسمبورغ، مالكولْم
أنّا ماي أكواش
قبل تريبلينكا، بركناو
هيروشيما، قبل شارلفيل
بيافرا، بنغلادش، بوسطن

أتلانتا، سويتو، بيروت، آسام
تلك الوجوه، الأسماء والأماكن
جُزّت٭ من المفكّرة
في الزمن الأميركيّ الشماليّ.

الكسندرا كولونتاي ١٨٧٢-١٩٥٢ شخصية حكومية هامة في الفترة المبكرة للسلطة السوفييتية. نفاها ستالين إلى سيبريا.

مالكولم أكس١٩٢٥-١٩٦٥ مسلم أميركي أسود اغتيل في٢١ شباط .١٩٦٥
روزا لكسمبورغ ثورية ماركسية ومنظِّرة ١٨٧١-١٩١٩، ومن مؤسسي الحزب الشيوعي الألماني.قتلها الجنود البروسيون في ١٩١٩.

أنا ماي أكواش: شابّةٌ مدافعة عن الهنود الأميركيين، قُتلت بطلقة في مؤخرة الرأس، في العام ١٩٦٧

أوشويتز - بركناو، بلدة صغيرة في وسط بولندا. في المعسكر هناك قُتِل مليونان من اليهود والبولنديين على أيدي النازيين.

شارلفيل، بلدة في جنوب إفريقيا قرب جوهانسبرغ. في .١٩٦٠ قتلت الشرطة العنصرية ٧٠ متظاهراً. هيروشيما مدينة يابانية دمّرها الأميركيون بقنبلة نووية في آب ١٩٤٥.

اضطرابات حول الحافلات المختلطة حدثت في بوسطن أواسط السبعينيات. جمهورية بيافرا أعلنت في ٣٠ أيار ١٩٦٧ حركة تقسيمية راح ضحيتها مئات الآلاف. بنغلادش كانت في شرق باكستان حتى.١٩٧١ كلّف استقلالها عن باكستان ٣ ملايين قتيل.

أسام ولاية في شمالي غرب الهند. حدثت فيها اضطرابات دموية بين الهندوس وأهل آسام في ١٩٥٩-١٩٦,.

٧

أنا أفكرُ بهذا في بلدٍ
تُسرَقُ الكلماتُ فيه من الأفواه
كما يُسرَقُ الخبزُ من الأفواه
في بلدٍ حيثُ الشعراءُ لا يذهبون إلى السجن لأنهم شعراء
بل لأنهم داكنو الوجوه، نساء، فقراء.
أنا أكتبُ هذا في زمنٍ
يمكنُ فيه أن يُستخدَم كلُ ما نكتبُ
ضد مَن نحبُّ.
حيث لا سياقَ
مع أننا نحاولُ أن نشرحَ، مراراً وتكراراً
من أجل الشِعر في الأقل
عليّ أن أعرفَ هذه الأشياء.

٨

أحياناً، وأنا أنزلقُ، ليلاً،
في طائرةٍ على نيويورك

أشعرُ كأنّ أحداً
يدعوني إلى مناجزة هذه الساحة من ضوء وعتمة.
فكرةٌ رائعةٌ

ولّدَها الطيَرانُ.
لكنْ تحت الفكرة الرائعة
فكرةُ أن ما كان عليّ أن أناجزَه قد ارتطمَ بالأرض المبلّطة
لقد صعدتُ درْجاتي العتيقة
وجلستُ عند نافذتي العتيقة.
وهاأنذا أنكسرُ، وأخلُدُ إلى الصمت.

٩

في أميركا الشمالية، يتعثّرُ الزمنُ
إنه لا يتحركُ
إنه يُطْلِقُ، فقط، ألَماً أميركيّاً شماليّاً.
جوليا دي بورغوس كتبتْ:
أحزنُ لأن جَدّي كان عبداً؛
لكني سأشعرُ بالعار لو كان سيّداً.
كلماتُ شاعرةٍ
عُلِقَتْ على بابٍ
في أميركا الشمالية، في العام
١٩٨٣.
القمر شبه المكتمل يطْـلُـعُ
ناطقاً أبديّاً للتغيير
خارج البرونكسْ

خارج نهر هارلم
خارج مدن الكوابين الغارقة
خارج المدافن المستباحة
والمـَناقع المسمومة، وميادين التجارب على الأسلحة.

أعودُ إلى الكلام.

١٩٨٣

جوليا دي بورغوس شاعرة وثورية من بورتو ريكو (١٩١٧-١٩٥٣) ماتت في شوارع مدينة نيويورك.

مدن الكوابين: خمس بلدات أُغرِقَتْ عند إنشاء سد في غربيّ ماساشوستس في ١٩٣٧.

A NORTON CRITICAL EDITION

ADRIENNE RICH'S POETRY AND PROSE

POEMS

PROSE

REVIEWS AND CRITICISM

Selected and Edited by

BARBARA CHARLESWORTH GELPI

ALBERT GELPI

STANFORD UNIVERSITY

For Saadi Youssef —
with admiration, in solidarity,
may we meet again —
Adrienne Rich
London, May 16 2002

W · W · NORTON & COMPANY · *New York · London*

إلى سعدي يوسف

مع المودّة

والتضامُن

ولْنلتقِ ثانيةً.

أدريان ريتش

لندن ١٦ أيّار ٢٠٠٢

ثلاث قصائد سُحاقيّــة

أدْرِيان رِيتشْ Adrienne Rich

ترجمة: سعدي يوسف

*

القصيدة الأولى

«على العموم فضّلت ريتش أن تجعل للقصائد السحاقية هذه، أرقاماً لا عناوين»

نائمتين
مثل أجرامٍ سماويّةٍ
تدور في مرْج منتصف الليل:
لمسةٌ واحدةٌ تكفينا لنعرفَ
أننا لسنا وحيدتَينِ في الكون، حتى في المنام:
تهاويلُ أحلامِ عالمَينِ
يرودانِ تهاويلَ بلداتهما، كأنهما تتخاطبان.
لكنّ لنا صوتينِ مختلفَينِ، حتى في المنام.
وجسدانا، متماثلان، لكنهما مختلفان
والماضي الذي يئزّ في عروقنا

محمّلٌ بلغةٍ مختلفةٍ، بمعانٍ مختلفةٍ -
مع أن أيّ سجلٍّ للعالَم الذي نقتسمه
سيُكتَب بمعنىً جديدٍ
نحن كنا عاشقينِ من جنسٍ واحدٍ
كنا امرأتَينِ من جيلٍ واحدٍ.

القصيدة الثانية

مهما حدثَ لنا،
سيظلّ جسدُكِ يسكنُ جسدي - رخيّاً، رقيقاً
وفِعْلُكِ الحـُبَّ، كالسعفةِ نصف المقوّسة
لسرخُسِ الغابةِ
الغسيلةِ توّاً بالشمسِ.
فخذاكِ المترحلتان، السخيّتان
اللتان جعلتُ وجهي كلّه، بينهما، مِراراً _
بَراءةُ وحكمةُ المكانِ الذي وجده لساني هناك -
الرقصةُ العنفوانُ العطشى، لحلمتَيكِ في فمي -
لَـمْستُكِ عليّ، قويّةً، حاميةً، تستخرجُني
لسانُكِ القويّ، وأناملُكِ الرقيقةُ
تبلغُ ما كنتُ أنتظرهُ منكِ، سنينَ، في كهفي الرطب مثل وردةٍ
ولْيكُنْ ما يكون.

القصيدة الثالثة

لو استلقيتُ معكِ على ذلك الشاطيء
أبيضَ، خالياً، ذا ماءٍ أخضرَ، صافٍ، دفّأهُ تيّارُ الخليجِ
لو استلقَينا على ذلك الساحل فلن نستطيع المكثَ
لأن الريح تدفع رملاً ناعماً علينا
كأننا ضدّها
أو كأنها ضدّنا
لو حاولْنا العنادَ وأخفقْنا –
لو ذهبنا بالسيارة إلى مكانٍ آخر
لننام بين ذراعَي بعضنا
وكان السريران ضيِّقَينِ مثل مَهاجع السجناءِ
وكنا متعبتَين، فلم ننمْ معاً
هذا ما وجدناه، وهذا ما فعلناه –
أكان ذلك ذنْـبَنا؟
إنْ تشبثتُ بالظروف فبإمكاني الشعورُ بانني لستُ مسؤولةً.
فقط، تلك التي تقول إنها لم تخترْ
هي الخاسرة في نهاية الأمر.

رَبِّ هَـبْني جناحَكَ

يا أيّـها الوزُّ المهاجرُ للجنوبِ،
لأيّ حُلْم أنتَ تمضي؟
ربّما أضناكَ هذا القَرُّ، مثلي، في متاهاتِ الشمالِ البربريّ
وفي صحارى الماءِ والغاباتِ
أعرفُ، أيّها الوزُّ المـُهاجرُ، أنّ في دمنا حنيناً سائلاً
أنّ الفضاءَ يضيقُ إنْ لم ينتفضْ ريشُ الجناحِ
وأنّ ما نعتادُهُ سيكون مَقتلَنا. . .
وأعرفُ أننا، يا أيّها الوزُّ المُهاجرُ، قد نموتُ بطلْقةٍ عمياءَ
لكنْ، يا طليقَ الروحِ، ليس لنا سوى أن نهتدي بالنجمِ والأنواءِ
ليس لنا سوى الحـُلمِ الذي قد لايكونُ الـحُلمَ. . .
مَن يدري؟
لقد ضاقَ الفضاءُ
وضاقت الدنيا بما رَحُبَتْ. . .
سلاماً أيها الوزُّ المهاجرُ!
كم نبيٍّ، قبلنا، قد حاورَ المسعى!
سلاماً. . .

٢٠١٢/٠٩/٢٤

ليليّــةٌ Nocturne

أمضَيتُ ليلي أسمعُ المطرَ. المياهُ تدقُّ ألواحَ الزجاجِ. تكادُ تدخلُ.
آهِ لو دخلتْ!
لقد غرقتْ شُجيراتُ الحديقةِ. والسناجبُ تختفي في الليل.ثَمَّ عواءُ ذئبٍ! ربما...
لو كنتِ عندي لاكتفَيتُ بما تجودينَ: الدعابةِ والأغاني والطفولةِ في الجنوب.
فكيفَ أُمضي الليلَ؟ أدري أنّ ألواحَ الزجاجِ ثخينةٌ. لن يدخلَ المطرُ المزمجرُ؛
غيرَ أنكِ تدخلين!

*

والريحُ؟ كنتُ أرى الصنوبرَ مائلاً، والكستناءَ الدّوحَ يَهدُرُ، والسياجَ يكادُ يئنُّ.
يا ما طوّحتْ بي الريحُ! يا ما ورّطتْني في معاركَ لا أرى أُفُقاً بها.يا ما انجرفتُ لأنني أهوى هواءَ الإنجراف! الآنَ أشعرُ أن عُقدةَ محبِسي أمستْ تضيقُ، وأن هذي الغرفةَ العليا بلندنَ... طوفيَ المفتوحُ. هُبّي يا رياحُ، وطَوِّحي بي في مهَبِّ البحرِ...
حيثُ الإنجراف!

*

مَن يوقدُ النيرانَ في الليلِ؟ النثيثُ ووافدُ الطّلِّ استباحا نارَ حطّابينَ مرتـــعِدينَ برداً.
لم يَعُدْ في الغابةِ السوداءِ حطّابونَ. لكني أرى النيرانَ تتّقدُ! الظلامُ الـمُطْبِقُ انكسرَ.
الحديقةُ أقبلَتْ. من أين تلكَ النارُ؟ أهيَ قواربُ السكنى؟ اليراعاتُ المضيئةُ؟ أهْــيَ
ما أذكتْ قِلادتُكِ الطويلةُ مثلَ جِيدِكِ؟ لستُ أهذي... أنتِ واقفةٌ هنالك في الحديقةِ.
أنتِ ناري!

*

قد كنتُ ألتهمُ الترابَ. الطفلُ يلتهمُ الترابَ. ملاعقٌ ذهبٌ ترابُكَ أيها الطفلُ الفقيرُ.
فما تقولُ الآنَ؟
أنتَ هنا، كأنك لم تغادرْ أغنياتِ أبي الخصيبِ!
ترابُكَ الـتِـبْـرُ الـمُـعَـفّـرُ بالروائحِ من أعالي النخلِ، والسمكِ الـمُـهاجرِ في الربيعِ. أتبصرُ الفجرَ؟ انتبِهْ!
هي ساحةُ المبنى وقد غُسِلَت، طويلاً، بالنثيثِ ووافدِ الطلِّ.
المماشي لا ترابَ بها...
وداعاً!

لندن، ١٧/ ١٠/ ٢٠١٢

غرفة الاستقبال

قالت: سأنام هنا، في هذي الغرفةِ. . .
(كانت عائدةً من سفرٍ لتظلَّ معي أيّاماً)
قلتُ لها: البيتُ لكِ
اختارِي أيَّ مكانٍ منه مبيتاً.
قالت: لن تزعلَ مني؟
قلتُ: وهل أنا إلاّ أنتِ؟
البيتُ صغيرٌ
والغرفةُ صُغرى، لكنكِ سوف تنامين وأحلامَكِ
سوف تنامين وأحلامي؛
سننامُ معاً، معتنقَينِ، وإنْ كنّا في غُرُفاتٍ مختلفاتٍ!
. . . .
. . . .
. . . .
كانت تلك الليلةُ باردةً
والثلجُ نديفٌ يتألّقُ بلّوراً فسفوريّاً في الأشجارِ.
دخلتُ إلى الغرفةِ حيث تنامُ، مُنَعّمةً كالطفلِ
وألقَيتُ عليها مُطْرَفَ صوفٍ من مرّاكشَ. . .

لم تتحرّكْ
لكنّ الوجنةَ صارت تتورّدُ.
كنتُ سعيداً.

لندن، ١٨/ ١٠/ ٢٠١٢

مطار هيثرو – المحطة الخامسة
Heathrow Airport - Terminal 5

لقد كان ذاك الصباحُ المـبكِّرُ محتدِماً:
هي راحلةٌ نحو عاصمةٍ عند بحرِ الشمالِ
وأنا، الـغِـرَّ، أدخلُ شيئاً فشيئاً، إلى عُمْقِ قوقعتي. . .
مطرٌ ورياحٌ ترافقُنا.
كان سائقُ سيّارةِ الأجرةِ، الجهمُ، ممتقعاً
(هوَ من أسفلِ الهندِ)
كاد الطريقُ يغيبُ. . .

❊

لم أعرفْ لماذا الصمتُ؟
لم تنطقْ.
ولم أنطقْ. . .
كأني لستُ أقدرُ أن أُوَدِّعَها.

❊

لقد أفنَيتُ عُمري في الطريقِ إلى المطاراتِ العجيبةِ
غير أني الآنَ أفقدُ أيَّ إحساسٍ؛
وأيّةَ وجهةٍ. . .

والسائقُ الهنديُّ يمضي.

أين يمضي بي؟

بها؟

*

كان الطريقُ يغيمُ

كان يغيبُ. . .

قالت لي صديقتيَ التي ستكونُ في بيتٍ على بحر الشمالِ:

أراكَ تبكي!

لندن، ٢٠١٢/١٠/٢١

شُجيرة الرند

شجيرةُ الرندِ في أقصى الحديقةِ مأوىً للندى وحَمامِ الدغْلِ.
كنتُ أرى، من حولِها، قططاً مثلَ النمورِ، أرى مِن حولها ريشَ عصفورٍ تناثرَ. شيئاً من بقايا صيوفٍ: علبةً فرِغَتْ من بيرةٍ. سِيخَ مَشْوىً. فحمةً...
وأرى شُجيرةَ الرندِ
بيتاً أستكنُّ له في الحلمِ؛
بيتاً، له، أبداً، بابٌ ومئذنةٌ، ونَمْرَقٌ.
قد تضيقُ الأرضُ بي
حسناً
لقد أَلِفْتُ مقامً الضِيقِ!
غير أنّ فتىً، مثلي، له خيطُ مَنْجاةٍ
له شَـبَـهٌ:
شُجيرةُ الرندِ في أقصى الحديقةِ...

لندن، ٣٠/ ١٠/ ٢٠١٢

الشتاءُ يختلفُ

منذُ عامَينِ لم يدخل الوردُ بيتي، لتأتلقَ المائدةْ
لم أضعْ شمعةً للعشاءِ تضيءُ النبيذَ
ووجهَ التي أستلذُّ ابتسامتَها وهي تبدأُ من لمعةِ العينِ. . .
عامانِ مَـرّا
ولم أسترِحْ في مدارٍ
ولا في سِفارٍ،
ولم أستسِغْ أن أقولَ لكأسٍ: سأشربُ حتى الثمالةِ.
حتى الهواءُ الذي أتنفّسُ قد صارَ مُـرّاً.
فهل وهنَ العظمُ مني؟
هل اشتعلَ الرأسُ شَيباً. . .
. . . .
. . . .
. . . .
أفِقْ يا بُـنَـيّ!
أفِقْ
واستَرِدَّ التي لن تغادرَ، عبرَ السنين العجيباتِ:
تلكَ الحماقةَ. . .

قُمْ، هاتِ وردَكَ!
أوقِدْ شموعكَ. . .
ولْـتُرْهِفِ السمعَ:
ها هي ذي مَن تُحِبُّ تدقُّ على الباب!

لندن، ٠٥/١١/٢٠١٢

حمدان الســاحر

حمدانُ الساحرُ، أجملُ مَن غنّى أغنيةً ما بين النهرَينِ
وحمدان الساحرُ (لا أحدٌ)
سَمّى حمدانَ الساحرَ، حمدانَ الساحرْ!
ولهذا سيكونُ لـهُ، ما كانَ لـهُ:
دشداشتُه السوداءُ
وأغنيةُ الطرُقاتِ. . .
وحمدانُ الساحرُ كان جميلاً
كانت دشداشتُهُ السوداءُ تَرِفُّ على الدربِ الـمُـترِبِ بيضاءَ
ترِفُّ على الدربِ الـمُـتْرِب غصناً ذهباً
وبَخوراً؛
وتقول:
مرْكَبْ هوانا
من البصرةْ جانا. . .
حمدانُ الساحرُ
يمضي في الطرُقاتِ، خفيفاً، أبداً
(يشبه حمدانَ الساحر)

أمّا نحن الأوباش
فلن نذكرَ من حمدانَ الساحرِ
إلاّ دشداشتَه. . .
سوداء!

لندن، ٠٩/١١/٢٠١٢

وَعْدُ اللّه

(هو وعد الله يحـيى النجّار)

في «نُقرةِ السلمانِ» كان الماءُ يأتي بالصهاريجِ الصديئةِ، عبرَ باديةِ السماوةِ
(نحن كنّا، آنَها، سجناءَ)
كانت «نقرةُ السلمانِ» مأوىً للذئابِ وللشيوعيّينَ
أعلاها، وأعلى العرشَ، والجيشَ، انجليزيٌّ
وقالَ: هنا يموتُ الرِّفْقةُ السجناءُ من ظمأٍ. . .
وقد ماتوا
بمذأبةِ الهروبِ. . .
لقد ماتوا، ولم يذكرهمو أحدٌ
رفاقٌ جذوةٌ، ماتوا، ولم يذكرهمو أحدٌ
ولكني سأذكرُ واحداً
إني سأذكرُ، في الشتاءِ اللندنيّ الـمُرِّ، وعدَ الله!
وعدُ الله كان فتىً
فتى الفتيانِ كانَ. . . أتتْ به الريحُ الذميمةُ من خريفِ الـمَوصلِ

المحكومُ بالإعدام، وعدُ الله، كان مكلَّفاً أمرَ السقايةِ
كان، مثل الربِّ، يأتينا بماءِ مستساغٍ من صهاريجِ الحكومةِ. . .
كان أصغرَ من شيوعيٍّ
وأكبرَ من شيوعيّي تَبارَكَ. قد سمِعْ
قد كان «وعدُ اللّه» وعدَ الـحقِّ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

وعدُ الله، في الفجر البهيمِ، مضَوا بهِ
من نقرة السلمانِ
مخترقين باديةَ السماوةِ
خِلْسةً:

شنقوه في بغداد!

لندن، ١٤/ ١١/ ٢٠١٢

غـزّةُ هاشـم

أتظلُّ، غزّةُ هاشمٍ، كالوحيِ، غزّةَ هاشمٍ؟
ستظلُّ!
أعرفُ أنّ صاروخَ القيامةِ سوف يُطْلَقُ. . .
سوف نسمعُ في المخابيء، صوتَـه، إذ يقطعُ الأنفاسَ
سوف نقولُ:
نحنُ، بقيّةُ السيفِ. . .
العلامةُ نحنُ
والرؤيا.
وغزّةُ هاشمٍ، ستظلُّ، مثل الوحيِ، غزّةَ هاشمٍ
يا رِفقتي في الرملةِ البيضاءِ
في الشققِ المهدّدةِ
الـمَشافي، حيث يُحتضَرُ المصابونَ
الشوارعِ وهي مقفرةٌ،
سلاماً. . .

لندن، ١٧/ ١١/ ٢٠١٢

سأظلُّ مشتاقاً

سأظلُّ مشتاقاً إليكِ، وأنتِ في المقهى معي تتمطّقينَ الشايَ
رافضةً نبيذي.
سأظلُّ مشتاقاً إليكِ وأنتِ سارحةٌ مع الحاسوبِ بعد رسالتي. . .
سأظلُّ مشتاقاً إليكِ وأنتِ هابطةٌ من المترو.
سأظلُّ مشتاقاً إليكِ وأنتِ في هيثرو. . .
سأظلُّ مشتاقاً إليكِ وأنتِ حائرةٌ بشَعرِكِ: كيف ينشَفُ بغتةً.
سأظلُّ مشتاقاً وأنتِ بعيدةٌ
سأظلُّ مشتاقاً وأنتِ قريبةٌ
سأظلُّ مشتاقاً إليكِ وأنتِ في حِضني
سأظلُّ مشتاقاً وأنتِ معي على متنِ الفراشِ. . .
أظلُّ مشتاقاً إليكِ، ونحنُ في عمليّةِ الحبِّ. . .

لندن، ١٨/ ١١/ ٢٠١٢

المدينة المُحرّمة

مُتمتِمةً عبرَ العناكبِ، حُرّةً، وخجلى، تناديني:
أكونُ عشيّةً هناكَ
فلا تهتِفْ!
مدينةُ أولادي هناكَ
فلا تجيءْ إليّ. . .
ولا تهتِفْ!
ألا لا، ألا إلاّ، ألا لا، ألا ألا. . .
ألا إن مَن أهوى هناكَ. . .
تقولُ لي:
مدينةُ أولادي!
ومَنْ قالَ إنها مُحرَّمةٌ تلك المدينةُ؟
سوف آخذُ القطارَ إليها. . .
لا تخافي!
سأكتفي بكأسِ نبيذٍ في المحطّةِ.
إنني أُحبُّكِ. . .

لندن، ٢٣/ ١١/ ٢٠١٢

ما نسجَ العنكبوتُ

أنا أجلسُ عند الشبّاكِ المفتوحِ قليلاً
لأدخِّنَ. . .
أعتمت الدنيا (كنّا في السادسةِ).
صدَقَ العرّافونَ:
المطرُ الصامتُ ينهمرُ.
لكني أسمعُ. . .
ماذا؟
أغصاناً تتقصّفُ؟
ممشى غزلانِ الغابةِ؟
خرخشةً لثعالبَ؟
أهوَ الوبْلُ المتدافعُ في الريحِ الليليّةِ؟
أجلسُ عند الشبّاكِ المفتوحِ قليلاً. . .
أشهَدُ معجزةً:
كان الوشَعُ اللامرئيُّ، الـمُرخى بزجاج الشبّاكِ، يشِعُّ
الوشَعُ اللامرئيُّ يشِعُّ، متيناً، بلّوراً. . .
أيُّ عناكبَ ظلّتْ تنسجُ هذا البلّورَ؟
لأيّ نبيٍّ كانت تنسجُ هذا البلّورَ؟

. . . .

. . . .

. . . .

أنا أجلسُ عند الشبّاكِ المفتوحِ قليلاً
لأُدَخِّنَ.

لندن، ٢٥/ ١١/ ٢٠١٢

تمـتـمـةُ الشتـاء

هل يهبطُ الليلُ الطويلُ، عليَّ، أطولَ؟
بعدَ أن رحلتْ؟
لقد طارت إلى أقصى الشمالِ
هنالكَ
حيثُ قريتُها،
وحيثُ يئنُّ صيّادون قد هبطوا مع الأسماكِ حتى القاعِ
وانتظروا القيامةَ. . .
ربّما قالتْ: سيذكرُني!
ورُبّـتَما انتهتْ من وحشةِ الممشى على القنَواتِ
أو في غابةِ الكافورِ. . .
لم تأتِ الغزالةُ، بَعْدُ، خلفَ الحاجزِ الخشبِ
السناجبُ تختفي
والخضرةُ الـمُثلى
ويهجرُني حَمامُ الدّغْلِ.
. . . .
. . . .
. . . .

لن أمضي إلى أقصى الشمالِ
ولن
ولن
فلْيهبطِ الليلُ الطويل!

لندن، ٠٩/ ١٢/ ٢٠١٢

ليس على العاشقة حرَجٌ

قالت (وكان الصوتُ عبرَ الهاتفِ المحمولِ مرتجفاً):
أريدُكَ أن تجيبَ صراحةً!
ما الأمرُ؟
قالتْ: إن أتيتُ إليكَ...
إنْ يـمّـمْتُ بيتَكَ في الضواحي ذاتَ يومٍ
أو مساءٍ غامضِ الأغصانِ مثلكَ،
هل تنامُ معي؟
أقولُ: سيّدتي الجميلةَ
لن أكونَ مؤدَّباً إن قلتُ: لا!
مَن يرفضُ الوردَ الـمُـفَـتّـحَ؟
مَن يقولُ لِـمُزْنةٍ هطلتْ: كفى!
مَنْ يمنعُ الغِزلانَ؟
والماعونَ...
مَن لا يفرشُ الريحانَ تحتَ المرمرِ العاري؟
أريدُكِ
هكذا...
لا تسألي، أرجوكِ، ثانيةً؛
تعالي!

لندن، ٠٩/١٢/٢٠١٢

الجميلةُ والإخطبوط

قد تعَرَّفْتُ، يوماً، بلاهاي. . . فاتنةً تعشقُ الإخطبوط
لا لتأكلَهُ
مثلَ ما يفعلُ الناسُ في بحرِ إيجةَ،
لكنْ ليأكلَها الإخطبوط!
*
وهيَ، كلَ صباحٍ تُطَرّي محاسنَها
وتُمَسِّدُ جبهتَها من تجاعيدَ ليستْ تُرى،
ثم تختارُ ثوباً يليقُ
وتمضي إلى مكتبٍ باردٍ
متلهِّفةً
وهي تنتظرُ اللحظةَ الذهبيّةَ
لحظةَ يفتضُّ جَرَّتَها العسلَ. . . الإخطبوط!

لندن، ١٢/ ١٢/ ٢٠١٢

الشيخُ الأخضرُ

في بار «الشيخِ الأخضرِ»
أي في:
Ald Greene Mann
(إنجليزيةٌ من زمانٍ قبل سيّدنا شكسبير)
في هذا البار الماثلِ بين تقاطُعِ (نورث وود و هَيرفيلد)
Northwood and Harefield
أجلسُ (أحياناً) مع أندريا. . .
نتحدّثُ
أو نتناولُ كأساً.
ثم نغادرُ:
كلٌّ يمضي نحوَ الزنزانةِ تلكَ. . . البيتِ الشخصيّ؛
لم يكن الأمرُ، كما أبْسِطُهُ لكَ، أو لكِ، هذا اليومَ؛
لقد كنا عشّاقاً!
ولقد طوّفْنا العالَمَ، حُرّينِ، شيوعيّينِ،
نغنّي،
ونناضلُ
لكنّا في الليلِ، نكون على الفَرْشةِ، بوهيميّينِ.
*

أندريا هجرتْني
وأنا أمسيتُ، سعيداً، بين ذراعَي أُخرى.
عجباً!
لِمَ أحكي لكَ؟
بل أنا لا أعرفُكَ...
فلماذا أحكي لكَ؟

*

قالوا: حسناً!
حسناً...
كانت أندريا شاحبةً، وهي تواجهُني عبر المائدةِ.
الجوعُ؟
أكيداً...
كنتُ أُمازحُها دوماً، وأقولُ: كأنكِ ذئبٌ يتضوّرُ جوعاً!
لكن شحوبَ الجلسةِ هذي ما كان شحوبَ الجوعِ.
لقد كانت تعرفُ أني سأسافرُ
تعرفُ أني سأسافرُ نحو بلادٍ أخرى
نحو امرأةٍ أخرى...
....
....
....
كان نبيذُ الشيلي الأحمرُ مُرّاً.

لندن، ١٢/١٢/٢٠١٢

نفسٌ مُطمئِنّةٌ

تسمعُ الريحَ؟
هل تسمعُ الريحَ؟
هل تسمعُ الريحَ تَجْأرُ؟
هل تسمعُ الريحَ تجأرُ بين الصنوبرِ والسنديانِ؟
لقد بدأ التلُّ يبدو لعينيكَ أبعدَ
أجردَ،
ما عدتَ من مطرٍ صائتٍ تَتَبَيّنُهُ
أنتَ تبحثُ عن ذلكَ التلِّ
والتلُّ ذكرى من الصيفِ،
ذكرى تسَلُّقِهِ مع مَن كنتَ تهوى
(أكانت تُغَنّي؟)
الكنيسةُ في القاعِ
والعوسجُ المتناثرُ في القمّةِ. . .
القلبُ ينبضُ،
تسمعُ ناقوسَ تلكَ الكنيسةِ كالصنجِ
قلبُكَ ينبضُ كالصنجِ.
أنت وراء الزجاجِ

فهل تسمعُ الريحَ؟

. . . .

. . . .

نبْضُكَ يخفتُ حتى كأنك أغمضتَ عينيكَ

مستسلماً للطبيعةِ،

منتظِراً أن تموت. . .

لندن، ١٤/ ١٢/ ٢٠١٢

محاولةُ تثبيتٍ

أوراقٌ باقيةٌ في الغصنِ العاري
تخفقُ مثل عصافيرَ من المعْدِنِ،
حولي:
زمنٌ رطْبٌ
وضُحىً أبيضُ
عشبٌ أبيضُ
حتى لكأنّ مياهاً ثابتةً تكســو الغابةَ والأفقَ الأبعدَ.
لا ريحَ
ولا نسمةَ
لا نأمةَ...
هل ينفجرُ الكونُ إذا انطلقتْ صيحةُ طيرٍ؟
هل أتحسّسُ صُدغي...

لندن، ١٩/١٢/٢٠١٢

المرفأ

غسَقٌ،
ساحةُ الحيّ مقفرةٌ
غير أنّ المطرْ
والمصابيحَ
مدّتْ شـــآبيبَ، ساطعةً، تتوازى
على الساحةِ المقفرةْ.
مرفأٌ يولَدُ الآنَ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
هل حانَ وقتُ السفرْ؟

لندن، ١٩/ ١٢/ ٢٠١٢

الشيوعيّ الأخيرُ يَـتـمازَحُ

كان الشيوعيُّ الأخيرُ، مُوَلَّـهاً!
أمضى ثلاثةَ أشهُرٍ
ما بينَ قريتِهِ بلندنَ، والضواحي من أمستردامَ...
وهو يُطاردُ الغزلانَ؛
كان يظنُّ أنّ الـحُبَّ يأتي من سماءِ الصيفِ!
كم هوَ ساذَجٌ!
كم من قطارٍ فاتهُ في الإنتظارِ
وكم قوافلَ أو جآذرَ غادرتْ حتى اختفتْ في الرملِ
أو عند الشـــواطيءِ...
قلتُ:
صبراً، يا رفيقي
أيُّها الـمُـسْـمى شيوعيّاً أخيراً...
كُنْ، كعهدِكَ، صامداً!
ما نفْعُ أن تشكو إذا نابتْكَ نائبةٌ؟
أفِقْ
وادخُلْ، بكل أناقةٍ، في البهوِ
وانظُرْ نحوَ سُـلَّـمِـهِ الذي في الرُّكْنِ؛

وادعَكْ قِرطَكَ الفضّيَّ:

. . . .

. . . .

. . . .

سوف تجيء مَن تهوى!

لندن، ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٢

تنويعاتُ النبتة المنزليّة

بَعدَها
بعدَ تلكَ التي كنتُ سمَّيتُها
أوّلاً،
أقصدُ: النبتةَ المنزليّةَ. . .
أمسيتُ ذا أربعٍ:
نبتةٌ عند زاويةِ البارِ.
أُخرى تُفَضِّلُ أن تتفتّحَ في غرفةِ النومِ.
ثالثةٌ تتألّقُ في شُرفتي وهي تستقبلُ الشمسَ.
رابعةٌ تومِيءُ الآنَ، مُتْرَفةً، من أصيلِ الحِجازِ.
ولكنني أحفظُ العهدَ
أحفظُ أنّ التي كانت النبتةَ المنزليّةَ
سوف تظلُّ (كما كانت) النبتةَ المنزليّةَ
تلك التي كنتُ سـمَّـيْـتُـها
أوّلاً!

لندن، ٢١/ ١٢/ ٢٠١٢

صديقتي التي كانت شيوعيّةً في البصرةِ

تقولُ مَن كنتُ أردتُ أن تصحبَني في رِحْلتي الآنَ:
ولكنّكَ، يا سعدي، بلا بيتٍ!
أجـبْـتُها: لكنّ لي سقفاً...
ولي بيتٌ بهِ بابٌ
به غرفةُ نومْ
و به مكتبةٌ مُثلى
وما أستقبلُ الناسَ بهِ: بيتُ معيشةٍ؛
بل إنني ألمحُ من شُرفتهِ الغابةَ والبحيرةَ الكبرى...
أنا شيوعيٌّ
ولا أريدُ أن أملِكَ.
مَنْ يملِكْ يكُنْ عبداً لِما يملِكُ...
....
....
....
هل أسألُكِ الآنَ:
أما كنتِ، الشيوعيّةَ، في البصرةِ؟
قولي...
ما الذي غيَّرَكِ اليومَ إذاً؟

لندن، ٢١/١٢/٢٠١٢

عشيّةُ الميلاد

ويقولُ بدْرٌ:
مريمُ العذراءُ. . .
«تاجُ وليدِكِ الأنوارُ لا الذهبُ»
ولكني هنا، في لندن الكبرى
مع المذياع والـمِـشوافِ، يا بدرُ العزيزُ
يَـؤودُني الذهبُ؛
لا مريمُ العذراءُ تحت النخلةِ الفَرعاءِ
لا الطفلُ الإلهيُّ. . .
المدينةُ، سيّدي، عطَبُ.
عذارى!
ربما، من بعدِ عشرينَ افتراشاً!
أيَّ طفلٍ نحنُ ننتظرُ؟
المسيحُ مضى، كما تمضي الأغاني دائماً. . .
صلَبوهُ
أو قالوا لنا: اخترَعوهُ من بُرْديّةٍ. . .
والآنَ
في الميلاد

عند عشيّة الميلادِ
تنفتحُ المخازنُ:
ليلُنا ذهبُ!

. . . .

. . . .

. . . .

سلاماً، بدرُ
وحدَكَ قلتَ:
«تاجُ وليدِكِ الأنوارُ لا الذهبُ»

لندن، ٢٢/١٢/٢٠١٢

من أهازيجِ أطفالِ البصرة

الحندقوقةُ في الرَبيّــةْ
قطَّعوا شَعرَ الــبُنــيّةْ

قد قطّعوا شَعرَ البُنيّةِ، هم أتَوا، غربانَ يومٍ للقيامةِ
هم أتَوا بطُيورِ فولاذٍ، بسِجِّيلٍ تحَدَّرَ من جهنّمَ. . .
هم أتَوا بعمائرٍ تسعى وتَسحَقُ. سَمِّها دبّــابــةً
و أبو الخصيبِ ينامُ أخضرَ. قطّعوا شَعرَ البُنَيّـــةْ.

الحندقوقةُ في الرَبيّـــةْ
قطّعوا ثوبَ البُــنَــيّــةْ

كان العراقُ مع القطارِ. الخطُّ يحملُنا ونحملُـهُ، بطـيئاً
واثقاً. كان القطارُ يُجرجِرُ العرباتِ، واحدةً فأُخـرى.
نحن كنّا أُمّةً. بل نحن كنّا الجِنَّ. ما كنّا ذئاباً. بل أكادُ
أقولُ: كنّا نُشبِهُ الحِملانَ. يحملُنا قطارٌ واحدٌ وغدٌ بعيدُ.

الحندقوقـــةُ في الرَبيـةْ
قطّعوا كُسَّ البُـنَـيّـةْ

لكنّهم جاؤوا. لقد جاءَ الغزاةُ. وجاءَ من تكساسَ وغـدٌ.
سَمِّهِ جورج بوش، أوباما، إلى أن صارَ، قبلَ دمي، عراقيّاً
إلى أن صارَ عمّي... أنتَ تعرفُ: إنها أمّي. وهاأنذا أطوفُ.
كأن بُلدان اللجوءِ، البصرةُ الأولى....

لندن، ٢٣/١٢/٢٠١٢

---

* الأهزوجة الأصلية التي أحفظُها منذ طفولتي تقول: حندقوقة بالربيّة. قطّعوا كُسّ البنَيّة.

تعويض

الطيورُ اختفتْ
فلا حِدَأٌ تهفو على القمّةِ البعيدةِ
لا مِن يمامةٍ
كانت الريحُ شماليّةً، وثلجٌ قريبٌ
في الشميمِ.
انتبهتُ
كانت ثلاثٌ ورَقاتٌ مثل الهشيمِ يُـحَـلِّقْنَ
و يَـمْـرُقْنَ...
السماءُ احتفَتْ:
أهُنَّ الطيورُ؟

لندن، ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٢

تَناسُخُ أرواحٍ؟

إنه المغربيّ
إنه المغربيُّ محمّد
إنه المغربيُّ محمّدُ بو العيشِ
إنه المغربيُّ محمّدُ بو العيشِ من طنجةَ
المغربيُّ محمّدُ سمّى ابنَه، عامَ ألفَينِ ٢٠٠٠ :
سعدي يوسف!
ما الذي أفعلُ الآنَ؟
إنْ جئتُ طنجةَ (دعْني أقُلْ بعد شهرَينِ)
كيف سألقى الفتى سعدي يوسف؟
أهذا الفتى المغربيُّ. . . أنا؟
هل أنا، سعدي يوسف، هذا الفتى المغربيُّ؟
هدوءاً!
سأدعوه كي نتعرَّفَ:
في البرغولا؟
عند مَدام بورت؟
في حانة دْرِيس علّوش (أعني البريد)؟
أنمضي إلى «قلبِ طنجةَ»؟

أم نكتفي بالمقاهي التي عند «سوق الـمُـصَـلّى»؟
قد تكونُ هيَ، الخيرَ، خطَّ حيادٍ. . .
فليس من السهلِ أن تعرفَ، الآنَ، أيَّ فتىً مغربيٍّ، ستلقى!
. . . .
. . . .
. . . .
ولكنني واثقٌ أنني سوف ألقى هنا
أو هنالكَ
أو هاهُنا:
سعدي يوسف!

لندن، ٢٨/ ١٢/ ٢٠١٢

معجزةُ مَطْلعِ ٢٠١٣

إنني أتشاءمُ، مثلَ كثيرٍ، من الرقم:
١٣
أنا لا أسكنُ الغرفةَ
١٣
في الفنادقِ.
منزلُ أوكتافيا في بْروكْسل كان يحملُ رقمي المخيفَ
١٣
(ولهذا سُلِبْتُ قلادةَ بغدادَ، ليلَ المحطّةِ)
رِحلةُ الشؤمِ نحو شواطيء مَسْقطَ كانت شباط
١٣
غرفةُ العمَليّاتِ حيثُ يموتُ النبيُّ، هي الغرفةُ
١٣
آخرُ منفى أعيشُ به الآنَ يحملُ رقمي العنيفَ
١٣
وإلى أن أموتَ، أظلُّ أُشِيحُ عن الرقمِ
١٣

. . . .

. . . .

. . . .

وإذاً

أيُّ معجزةٍ هي في مطْلعِ العام

٢٠١٣؟

❋

نبتتي المنزليةُ

تلك التي عند نافذةٍ تشربُ الشمسَ

قد أطْلَعَتْ زهرةً

زهرةً ليس أنصعَ منها بياضاً

زهرةً لا تكادُ تُرى . . .

زهرةً هي أُولى،

زهرةً واحدةْ!

لندن، ٣١/ ١٢/ ٢٠١٢

طائرةُ تدريبٍ تعبرُ النافذة

طائرةُ التدريبِ العائدةُ الآنَ إلى مدرسةِ الطيَرانِ
تَعَدّتْ نافذتي، متضائلةً، كالطيرِ. . .
سماءٌ بيضاءُ
وأشجارٌ عاريةٌ
وأنا، المسكينَ، أُقَفْقِفُ في الغرفةِ
حتى كدتُ أرى ثلجاً يَـسّـاقَطُ حولي؛
شُهُباً بِيضاً تَـسّاقَـطُ
أوراقاً من كُتُبٍ تَسّاقَطُ
أثوابَ نساءٍ كنتُ عشقْتُ، قديماً، تَسّاقَطُ
أسناناً لَبَناً تَسّاقَطُ
تاريخَ بلادٍ يَسّاقَطُ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
ماذا فعلتْ طائرةُ التدريبِ العابرةُ؟
الطيّارُ الـغِـرُّ

سيدخلُ مدرسةً أُخرى
وسيقذفُ كلَّ قنابلِهِ
وهو سعيدٌ. . .
يَقتلُ فلاّحي نخلِ البصرة!

لندن، ٠٤/ ٠١/ ٢٠١٣

أصواتٌ خفيضةٌ

كـان الصُّبـحُ شـتائيّاً، أبـيضَ
والورَقُ المتكرمشُ. . . أسودَ

أسمعُ من جهةِ الغابةِ خَــفْقاً. . . هل تَخْفُقُ أغصانٌ عاريةٌ؟
فَلأُرْهِفْ سمــعي: يقترِبُ الخـفَـقانُ. أسيرُ إلى النافذةِ.
المَشهدُ كالـلوحةِ، دونَ تضاريسَ. الثُلثُ الثاني أملَسُ.
أُلْصِقُ وجهي بزجاجِ النافذةِ. أسمعُ خفْقاً. أسمعُهُ من جهةِ القلب

كان الصبحُ شتائيّاً، أزرقَ
والورقُ المُسّاقِطُ، بُـنّـيّاً

مطرٌ يدخلُ في العشبِ، وبين لِحاءِ الدوحةِ والجذعِ، نـثيثاً
لا ريحَ. و لا طيرَ. سياجُ الخشبِ المتشرِّبُ يبدو لي مُـهترئا.
لن يبدو خلفَ سياجِ الخشبِ المتهرّيءِ خِشْفٌ. لن تصدحَ قُبَّرةٌ.
لكني أسمعُ خشخشةً. أهوَ الثعلبُ؟ أم أنّ الخِشْــفَ يجيء؟

كان الصبحُ شـتائيّاً، أخضرَ
والورقُ الـمُتبـرْعمُ، أبيضَ

أهو نهارُ الأحدِ؟
اليومَ، إذاً، ستكونُ زيارتُـــها!
سوف أروحُ إلى الحانةِ ظُهراً
أتمشّـــى
وعلى شفتَيَّ صفيرٌ من أغنيةٍ كنتُ أردِّدُها في باريس!

لندن، ١٠/ ٠١/ ٢٠١٣

اقتِســامٌ

بين شقّةِ «هَـيْـرْفِيلْد» والبصرةِ، البحرُ
بينهما قارّتانِ
وسبْعُ طِباقٌ. . .
وبينهما كلُّ ما يَفصِلُ المرءَ عن أصلِهِ
كلُّ ما يصِلُ المرءَ؛
بل كلُّ ما يصِلُ المرأة المستحيلةَ
بالمستحيلِ.
أتدري كم استمتعتْ نحلةٌ وهي تشتارُ مني العسلْ؟
لا تقُلْ: إن نخلةَ حمدانَ أجملُ!
هل تعرفُ السنديانَ؟
إذاً خَـلِّـنا نتفاهمُ:
خُذْ إلى بيتِكَ البصرةَ، الأهلَ والنخلَ
واترُكْ ليَ الشقّـةَ المستكنّةَ بين الصنوبرِ والسنديان. . .

لندن، ١١/ ٠١/ ٢٠١٣

بيتٌ حزبيٌّ

جاؤوا بجَزّاتِ الخرافِ مَعاطفَ. . .
الليلُ البهيمُ يلُفُّ نخلَ أبي الخصيبِ، وساحةَ السوقِ.
الشتاءُ مُقَرِّسٌ
جاؤوا:
لقد كانوا شيوعيّينَ، ينتقلون سرّاً في الظلامِ
إلى الخليجِ
ورملةِ الظَّهْرانِ
أو إيران. . .
كانوا متعَبينَ، مطارَدينَ، وإنْ تفادَوا أن نرى تعَباً.
وقد كانوا جياعاً
غير أنّا، مثلهم، فقراءُ
لم يجدوا لدينا غيرَ تمرٍ
غيرَ خُبزةِ مَلّةٍ
والماءِ. . .
. . . .
. . . .
. . . .

في الفجرِ البهيمِ مضَوا.
لقد كانوا شيوعيّين يلتحفون جزّاتِ الخرافِ
ويضحكون!

لندن، ١١/ ٠١/ ٢٠١٣

جِلسة اللوتس

مثلَ بوذا، أُزمزِمُ، منتظراً لحظةً لامثيلَ لها:
لحظةَ
أن يسقطَ الثلجُ أوّلَ!
لستُ أنعَمُ في جِلسةِ اللوتْسِ
جِلسةِ بوذا،
(تيبّسَ عَظمي)...
سأختارُ نافذةً من ثلاثٍ،
وأجلسُ؛
لكنني، مثل بوذا، أُزمزِمُ، منتظراً، مثلَـهُ
أن أرى الثلجَ أوّلَ.
قد هدأَ الدّغْلُ
والريحُ واقفةٌ مثل شُرْطيّ سَـيرٍ،
وآخرُ طيرٍ توارى...
و لا رفّةٌ في الغصونِ التي عَرِيَتْ منذُ دهرٍ.
سماءٌ رصاصيّةٌ تتبدّلُ بيضاءَ،
هل نصُعَ الكونُ؟
هل ألقت الأرضُ أوزارَها؟

ثَــمَّ في الــهُــدْبِ مُرتجَفٌ.
في العيونِ بريقٌ.
وفي نقطةٍ من أديمِ الزجاجِ الفُجاءةُ:
قد سقطَ الثلج...

لندن، ١٢/٠١/٢٠١٣

مَـوعِـدٌ؟

إنّ لي، يا زُهَيرةُ. . .
تسعاً وسبعينَ؛
ماذا تريدين مني؟
وماذا أريدُ؟
تقولين: عَمّانُ بيتُكَ.
عَمّانُ بيتي،
وها أنذا، أسكنُ القَفْرَ. . . أسكنُ لندنَ
حيثُ الضواري أحَنُّ من الناسِ.
قد جئتِني (أتذكّرُ) زاهيةً بالقلائدِ والبسمةِ الملكيّةِ
(كان الوشاحُ ندىً من فلسطينَ)
ثم انتهينا إلى الليلِ
والويلِ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
لكنّ لي الآنَ تسعاً وسبعينَ. . .
*

سيّدتي
سوف أطرقُ باباً بعمّانَ
كي ألتقيك!

لندن، ١٢/ ٠١/ ٢٠١٣

سيمفونيّةٌ مَرْئِيّـةٌ

أُفُقٌ أبيضُ. الساحةُ الدائريّةُ بيضاءُ. سقفُ البناياتِ أبيضُ.
والشجرُ المتضائلُ أبيضُ. في البُعْدِ تبدو البحيرةُ بيضاءَ بيضاءَ.
حتى السياجُ الذي فقدَ اللونَ قد صار أبيضَ. ممشايَ أبيضُ.
شَعري الذي طالَ دهراً لأضفِرَهُ... أبيضُ. الغـيمُ فوقَ
الـمَراكبِ أبيضُ. والورَقُ المتناثرُ في غرفتي أبيضُ. الضوءُ أبيضُ.
ذاكرتي تأفُلُ الآنَ، بيضاءَ. لا نخلَ فيها ولا نهرَ...
كلُّ النساءِ اللواتي مررْنَ على شرشفي، يرتدِينَ العباءاتِ بيضاً.
سأبسِطُ كفّيَ بيضاءَ من غيرِ ســوءٍ. دمي أتخَـيّـلُهُ أبيضَ.
القِطُّ، هذا الذي يتربّصُ بالطيرِ، أبيضُ. والطيرُ أبيضُ.
أغمضتُ عينيَّ حتى أرى، مثلَ ما أنتَ، دوماً، ترى...

*

أتَـقَـرّى المآذنَ في أصفهانَ: كأنّ لِـزُرْقَـتِها خُضرةَ البحرِ.
هل كنتَ في فاسَ، حيثُ العباءاتُ تخرجُ زرقاءَ من جَـفْـنةٍ؟
هل رأيتَ حديقةَ مُرّاكشَ: الزُّرقةَ الملَكيّةَ والشّوكَ؟ فَخّارَ دَلْفِتْ؟
عيونَ التي كنتَ أحببتَ يوماً بباريسَ؟ زرقاء. زرقاء. إني أُحِبُّكِ
زرقاء. لوركا الذي قال: خضراء. خضراء. إني أحبُّكِ خضراءَ.
قُلْ: ما الذي يجمعُ الأزرقَ الفذَّ والأخضرَ؟ الـمَعْشباتُ التي تتألّقُ

خضراءَ عندَ السواحلِ . . . إفريقيا. والأساطيرُ كانت تقولُ:
دمُ الأُسَــر الملَكيّةِ أزرقُ. لكنّ ماري انطوانيت ذاتُ دم أحمرَ.
الغابةُ المطريّةُ تبدو من البُعدِ زرقاءَ. ما يرتديه الطوارقُ أزرقُ . . .
قبلَ ليالٍ ثلاثٍ حلمْتُ بأنيَ أغرَقُ ما بينَ نهدَينِ. والبحرُ أزرق.

*

أنا في عدنٍ.
١٩٨٦
كنتُ أرنو إلى جبلٍ كانَ يُسْمى حديداً. ولكنه اليومَ أحمرُ.
قد قال رامبو: أنا الآنَ أسكنُ في الفُوّهةْ.
ليتَ رامبو رأى ما رأيتُ!
الجحيمُ الذي كان في عهدِهِ خامداً، لم يَعُدْ خامداً. . .
كان أحمرَ في بهجة الإنتحار.
وفي صيف موسكو أسيرُ إلى الساحةِ. العلَمُ الأحمرُ المتألِّقُ منعقدٌ في الجبينِ.
وفي صيفِ بايجينغ لوّحتُ بالرايةِ الأمميّةِ: حمراء. حمراء. إني أحبُّكِ حمراء.
في ٦١
كان العراقُ الجميلُ سيُشرِقُ أجملَ
كان العراقُ سيُشرِقُ أحمرَ
كان العراقُ سيُشرِقُ
كان العراق. . .

لندن، ١٥/ ٠١/ ٢٠١٣

عليكَ أن تفُكَّ الحصارَ

أنت تنظرُ عبْرَ الزجاجِ المضاعَفِ
والثلجُ يهطلُ
حتى اختفتْ في البياضِ الصنوبرةُ
(تَذْكرُ الآنَ أنكَ أنبَتَّها قبلَ عشْـرٍ)
وذاك السياجُ الخفيضُ. . .
أتذكرُ كيفَ انتقَيتَ من الرَّدْمِ أحجارهُ؟
(كان ذلك من قبلِ عَشرٍ)
أتمضي، إلى أبد الآبدينَ، تُحَدِّقُ عبرَ الزجاجِ المضاعَفِ؟
لستَ في نَـشَـزٍ. . .
كلُّ هذا الزجاجِ المضاعَفِ ما عادَ يحميكَ. . .
فالثلجُ يهطلُ
والثلجُ يهطلُ
حتى يُجَمِّدَ أطرافَكَ. . .
انتبهِ الآنَ؛
خُذْ جُرعةً من شرابِ جامايْكا
وقُمْ
وافتح البابَ

واخرجْ إلى ساحةِ الحيّ
وارقصْ
لتدفأَ
والثلجُ يهطلُ . . .

لندن، ١٨/ ٠١/ ٢٠١٣

مُلحَق

في ليل بروكسل:
أشقياءُ مغاربةٌ سلبوني العراقَ الذهبَ

ما آبَ من سفرٍ إلاّ و . . .

أنا امرؤ يحبّ الأسفارَ، حتى القريب منها، كأن تسافر بقطار اليوروستار من محطة كنج كروسٌ اللندنية إلى بروكسل.

كنت زرت بروكسل مرةً لأقع ضحية احتيالٍ من جانب مسرحيّ عراقيّ كان يقيم في أنتويرب، و لربما حتى اليوم.

الآن اختلفَ الأمرُ، فأنا ذاهبٌ أزورُ صديقةً بلجيكيةً كنت أعيش معها أيامَ باريس العجيبة.

أوكتافيا دي بويسير.

كانت أوكتافيا زوجةً للرسام البلجيكي المعروف ديس دي برون (توفي في العام ١٩٩٨).

في باريس افترقا، أوائل التسعينيات، فقررت السيدةُ العيشَ معي في الضاحية الباريسية أوبرفيلييه.

Aubervilliers

تقلّبتْ بنا الأمكنة والظروف، لكنا ظللنا على صلةٍما.
قبل عشر سنين زارتني في لندن.
الآن أزورها، في نيسان، بعد سنواتٍ عشرٍ، ملأى.
لسنا، نحن الإثنين، في غضارة الصبا.
الزيارة، إذاً، لها معنىً أعمقُ.
في شباط الماضي قلت لأوكتافيا: أريد أن أزوركِ. قالت: مرحباً بك. قلت: سأبقى أسبوعين. قالت:
ابقَ ما شئتَ. سألـتُها: في مسكنكِ؟
أجابت: أين إذاً؟

*

أوكتافيا تعيش في حيّ غير بعيد عن وسط العاصمة، حيّ مختلط الأجناس واللغات. منزلها قريب من محطة مترو. في منزلها كلبان، أحدهما نصف ذئب.
شقّتها أقرب إلى أتيلييه، وتضمّ عدداً من أعمال زوجها الراحل.
قدّمتْ لي سريرها، وارتضتْ لنفسها سرير الضيوف.
الكلبان يعيشان معها في الشقة.

*

أوكتافيا تغنّي في أوبرا شعبية.
تروي حكايات للكبار والصغار.
وتتابع باهتمامٍ المعارضَ التشكيلية.

*

لأوكتافيا علاقة وثيقةٌ بمركز ثقافيّ فلمنكيّ (تمييزاً عن الثقافة

الوالونية الفرنسية)، اسم المركز: سينما Zinnema
وهي تذهب إلى هناك أكثر من مرتين أسبوعيّاً.

*

مساء السابع عشر من نيسان، أي ليلة سفري عائداً إلى لندن، قالت لي: أنذهبُ إلى المركز؟ هناك جازٌ حيٌّ. هي تعرف أنني أحبّ الجاز. قلت لها: لكنْ علينا ألاّ نتأخر. قالت: ساعة واحدة فقط!

ابتدأ الجاز متأخراً ساعةً تقريباً عن الموعد المقرر.

أوكتافيا ظلّت تكرع النبيذ. أنا امتنعتُ تقريباً.

ضجرتُ.

خرجت من القاعة أتمشّى في الممرّ لعلّ أوكتافيا تخرج لنعود إلى شقّتها.

لا خبر.

أخيراً جاءني مدير المركز وزوجته. قالا لي: أوكتافيا زادتْها هذا المساء. أنت تعرفها.

خرجتْ أوكتافيا ضاحكةً.

بمجرد بلوغنا الشارع، فقدتْ صديقتي القدرةَ على السير المتزن.

قلت لها: الخير أن نعود في تاكسي.

رفضتْ.

هكذا سرنا بمشقّةٍ حتى بلغْنا محطة المترو.

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة.

في المدخل، كان الحرّاس ذوو السترات الحمر المخططة، يبدون مغاربةً، وكان أيضاً عددٌ من الشبّان المغاربة يتمازحون ويتصرّفون

بصورة مريبة غير بعيدين عن الحراس.

أوكتافيا التي تحبّ المغرب كثيراً، حدّ الاشتراك في «المسيرة الخضراء»، لم تهبط إلى القطار، وإنما اتجهت إلى المغاربة، تمازحهم وتتضاحك معهم. رجوتُها أن تأتي نحوي، لكنها أصرّت على البقاء بين الشبّان المغاربة.

لاحظتُ، مرتعباً، أن أحد الشبّان كان يحاول انتزاع خواتمها من أصابعها... احتدمتْ. كادت تسقط على الأرض. سحبتُها إلى المدخل لنأخذ القطار، لكن أحد الحراس اعترض قائلاً إنها سكرى. والقانون يمنع السكارى من استخدام القطار. والأرجح أنه كان يريد أن يساعد الشبّان على سرقتها. فجأةً اندفع أحدهم إليّ.

كنت بعيداً شيئاًما. اندفع إليّ وسحب من عنقي سلسلة الذهب، العراق الذهب، السلسلة التي أهدانيها صائغٌ عراقيٌّ في السويد، والتي تحمل خارطة العراق. لا أدري كيف عرف اللصّ المغربيّ أنني أحمل سلسلةً. كنت ألفّ رقبتي بإيشارب أبيض أسود على طراز حمار الوحش، أهدتنيه أوكتافيا. حاولتُ الإمساك بالسلسلة فتدفّق الدم من إبهامي. فرّ اللصوصُ فجأةً.

جاء الحرّاس.

قالوا: استدعَينا الشرطة.

جاء الشرطة.

بعد سلام وكلام...

وتحقيقٍ أوّليّ، وسؤالٍ عمّا كنتُ بحاجة إلى سيارة إسعافٍ...

بعد هذا كله:

حملتنا سيارةُ الشرطة إلى منزل أوكتافيا التي ظلّت تهذي طوال الطريق.

ولقد كانت الليلة ليلاءَ حقّاً:

ظلّت أوكتافيا تعوي، مثل لبوءةٍ جريحٍ. تعوي الليل كلّه:

سرقوا بطاقتي الحمراء الصغيرة. سرقوا بطاقة الإئتمان البنكيّ.

سرقوا بطاقة التأمين الإجتماعي... واه! واه!

سأكون عنصريّةً!

أجهزتْ على قنينة نبيذ.

حاولتْ أن تدخن لكني منعتُها، خشية اندلاع حريق في الشقّة.

الكلب نصف الذئب ظلّ هادئاً.

*

والآن؟

أعتقدُ أن الأشقياء المغاربة فعلوا ما كان عليّ، أنا، أن أفعله:

الخلاص من فكرة العراق الذهب!

العراقُ لم يعُدْ قائماً.

ولن يعود...

*

في منزلي بحثتُ عمّا أطوِّقُ به عنقي.

تذكّرتُ قلادةً سوداءَ تحمل صورة شي غيفارا.

هذه القلادة اشتريتُها، ذات صباح نيويوركيّ، من بائعٍ جوّالٍ، أسود.

القلادة سوداء.

غيفارا بالأبيض والأسود.

*

أذهبُ بغير ذهبٍ.

النبيّ لا يورث.

هكذا قال محمد بن عبد الله على فراش الموت.

لندن، ٢٠/ ٠٤/ ٢٠١٢

عَيشة بِنْت الباشا

(٢٠١٤)

قلعةُ الحِصْنِ التي قُربَ حِمْص

أسيرُ إلى القلاعِ، هنا، وهَنّا، ناسياً ثلجَ الوريدِ، مُقَبِّلاً قَدمَ الوليدِ، أجيءُ نحوَ الصخرِ من قِدَمي، أُثَبِّتُ في مُتونِ حُزوزِهِ قَدمي. أقولُ: لَعلّني أرقى. وأصعدُ، خطوةً في إثْرِ أخرى، شهقةً في شهقةٍ، والخندقُ

الدوّارُ يسألُني: لماذا جئتَ؟ أسألُهُ: لماذا جفَّ ماؤكَ؟ لو ترُاه مضى ليسألَني: لماذا جفَّ مائي؟ الخندقُ الدوّارُ لم يبرحْ مكاناً كان فيه منذُ ألْفٍ، إنما الأمطارُ لم تهطِلْ. . .

أحقّاً صارَ هذا الخندقُ الدوّارُ جسراً للـمُغِيْرينَ؟ السماءُ سترتمي في لحظةٍ.

ستكونُ سقفاً. أنتَ لنْ تُبْدي سوى سبّابةٍ مرفوعةٍ حتى تُلامِسَها. . .

وكان الخندقُ الدوّارُ أخضرَ، قاعُهُ المفروشُ بالأعشابِ والدُّفْلى وأكياسِ اللدائنِ كان يدخلُ في متاهاتِ القُرى وسرائرِ الأبراجِ. أحياناً تُدَلّي غيمةٌ أثداءَها ليظلَّ هذا الخندقُ الدوّارُ مَغْنىً. قد يمرُّ الماعزُ الجبليُّ. والأعشابُ تَثْبُتُ في الصخورِ كصِبْغةٍ سِرّيّةٍ. قد تفتحُ الأزهارُ في آبٍ مِظلاّتٍ بلا ظِلٍّ فيأتي النحلُ. . . أهلاً، لا خديعةَ. . . أيّهذا الخندقُ الممتَدُّ بين الوهمِ والوهْمِ:

انتظِرْني كي أُوازِنَ خطوتي. مترنِّحاً سأظلُّ، مأخوذاً بأحجارٍ تُزَلْزِلُ وقفتي.

أحجارُكَ الأولى التاي كانت تدافعُ عنكَ صارتْ منبِتاً لمحيطِ أكواخٍ. وفلاّحوكَ صاروا الجُنْدَ. جُنْدُكَ أصبحوا متعهِّدي خيلٍ وماشيةٍ. ولكنّ الخنادقَ لا تصيرُ سوى خنادقَ. ربما انطمستْ وضاعتْ تحتَ أتربةِ العواصفِ والقرونِ، وربما نسيَ الذين بقُرْبِها حتى خطوطَ القُرْبِ... لكنْ سوف يأتي اليومُ، يأتي يومُها، فتهبُّ ناصعةً لتدفعَ عن نضارةِ وجهِها الأسمالَ والأزبالَ والأكياسَ...

آنَ لها،

لكلِ خنادقِ الأحياءِ،

أن تحيا...

*

أتعرفُ كيف يبدو البُرْجُ في الفجرِ؟ السماءُ تكونُ صافيةً، وغامضةً قليلاً.

ثَمَّ ضوءٌ واثقٌ من لامكانٍ، والسماءُ تظلُّ صافيةً وغامضةً، وهذا الفجرُ يبدو ضائعاً، يا فجرُ... أين الفجرُ؟ في مثلِ الفُجاءةِ كان رأسُ البُرْجِ مُتَّقِداً، وكان الضوءُ يأخذُ شكلَهُ... والضوءُ رأسُ البُرْجِ:

قَرْنَصَةٌ وفُوضى

مِزْغَلٌ للشمسِ

متراسٌ يُصَوِّبُ نحوَ كونٍ غائبٍ...

قد يهبطُ الفُرسانُ من سُفُنِ الملائكةِ، الحدودُ قريبةٌ حتى الـمُلامَسةِ، الحدودُ بعيدةٌ حتى الجنونِ. . .
أهِلَّةٌ في الماءِ
صُلْبانٌ على الأكَماتِ، أو بالعكسِ.
هذا الضوءُ، هذا الضوءُ، هذا الضوءُ. . .
رأسُ البُرْجِ مشتعلٌ
وعند القاعِ، خلفَ الخندقِ الدوّارِ، في «الموتيل»، تحتَ مُلاءةٍ في غرفةٍ خرقاءَ
بالموتيل، كان فتىً يقولُ لدُمْيةٍ: إني أُحبُّكِ.
يهبطُ الفُرسانُ. سِيْفُ البحرِ يُلْمَحُ عند رأسِ البُرْجِ. ما أبهى طرابُلُسَ الخفيّةَ.
في السفوحِ تغادرُ الأشجارُ منبِتَها، وترحلُ في فضاءٍ أخضرٍ. . .
حتى الدروبُ تصيرُ في الـمَهوى خيوطاً كان رأسُ البُرجِ يُمسكُها، يُدَلِّيها، ويرفعُها، كما شاءَ.
المدافعُ لم تَعُدْ في البُرْجِ. . .
هل رحلتْ مع السفُنِ التي رحلتْ؟ أو انصهرَتْ لتغدو بين أيدينا نقوداً فضّةً؟
أمْ أنّ أغنيةَ المدافعِ لم تكن قد قعقعتْ بَعْدُ؟
الثلوجُ تلُوحُ في القممِ المحيطةِ. . .
غيرَ أنّ البُرجَ يلبسُ عُرْيَهُ، ويظلُّ، مثلَ الذئبِ، أغبرَ. . .
هدهِديني كي أنامَ:

الثلْجُ أثقَلَ لِمّتي
والثلجُ أثقَلَ خطوتي
والثلجُ غلغلَ في عروقي ماءَهُ ودماءَهُ
والبرجُ يدعوني لأصعدَ نحوَهُ،
البرجُ يدعوني لأصعدَ نحو صمتي
حيثُ الطيورُ السودُ،،،
وووووو...

*

رأدَ الضحى، متلفِّعاً بالبردِ والجلمودِ، أدخلُ قاعةً حجريّةَ الأقواسِ.
أعمدةٌ خبتْ تيجانُها، فوقي. وتحتَ خُطايَ أشواكٌ مُعَفَّرةٌ،
أرى أسَدَينِ يرتفعانِ عند المدخلِ العالي، ويَمّحِيانِ مُرْتبِضَينِ.
غيماً مُبْحراً يجتازُ أروقةً ويمضي في سماءٍ حُرّةٍ... شجراً بعيداً.
شِبْهَ سِرْبٍ من يمامٍ. تهدأُ الأنفاسُ. أُغْمِضُ مُقلَتَيَّ للحظةٍ:
أهلاً!
يعودُ الصوتُ:
أهلاً... لن... لن... لن...
وأهتفُ: آهِ، يا سِرْبَ اليمامِ... يمامِ... مامِ... مِ...
كأنّ يدي ستُمْسِكُ خيطَ صوتي من نهايتِهِ...
أمُدّ يدي
يدَيَّ،
فألتقي روحي...

سلاماً. . . مَنْ؟ مَن؟ مَن؟ مَن؟
ومن بابٍ بأقصى القاعةِ الحجريّةِ، انفتحتْ سماءٌ وانجلَتْ.
في الأفْقِ أجنحةٌ تسدُّ الأفقَ. تعلو عند بابِ القاعةِ الحجريّةِ الضوضاءُ.
يأتيني ملائكةٌ بأجنحةٍ
وعُمّالٌ بأجنحةٍ
وفلاّحونَ في أثوابِ ريشٍ.
أغْمِضُ مُقلتَيَّ هُنيهةً: أهلاً بكم! كُمْ. . . كُمْ. . . لَكَمْ غِبتُمْ!
تعبتُمْ في الطريقِ؟
وهل ظمِئتُمْ؟
إنّ في كَفّيَّ عيناً سلسبيلاً. . .
أم تُرى قد مسَّكُمْ ضُرٌّ؟
سأفرشُ كلَّ أضلاعي لكم. . .
لكنْ أقيموا!
أمسح الوعثاءَ عن أقدامكم،
وأُقَبِّلُ الأيدي لو استلمتْ طعامي.
لن ترحلوا!
سنبيتُ ليلتَنا هنا.
لا تعبأوا بالبردِ!
سوفَ أجيءُ بالسّروِ العظيمِ
وبالجريدِ الهشِّ.

جِذْعُ النخلةِ استلقى ليُمسي الجمرَ. . .
مهلاً!
سوف نوقِدُ نارَنا
ستكونُ قلعتُنا منارَ الخابطينَ
لقد غدَونا نارَنا. . . نا. . . نارَنا. . . نا. . . نا. . .

حمص - قلعة الحِصْن

الـعـقَـبـة

(١)

هي **أيْلةُ** التاريخِ
وهي الآنَ، **إيلاتُ**، التي جاءتْ بها الكبَواتُ واللهجاتُ
وهي، بنُطْقِنا، وغماغمِ استقتالِنا:
العقَبةْ
تشِفُّ، كذرّةِ البلّورِ أحيانَ اضطرابِ النبضِ
أرضَ مَقاتلٍ لصحابةٍ ومجاهدينَ
وواحةً مسكينةً للسِّدْرِ
درباً نحوَ مؤتةَ والشآم
ونحوَ أن تنداحَ موجةُ ذلكَ الرملِ المؤجَّجِ
ذِروةً
أو وردةً من وقْدةِ الصحراءِ
تندفعانِ أعلى ثمَّ أعلى
في الهباءِ تُدَوِّمانِ لترفعا مدُناً
وألويةً

وعشراً من قِلاعٍ
حيثُ تستهدي كراديسٌ مدجّجةٌ
نجومَ النقْعِ والصلَواتِ
. . . .
. . . .
. . . .
سوفَ يئنُّ لورنسُ المهشَّمُ عندَ إحداها.

*

ليس في القلعةِ أحدٌ / ليس ثمّتَ حارسُ آثارٍ / البحرُ وحده / والصيّادون تركوا زوارقَهم إلى المقهى /
الشمسُ تغرُبُ في إيلات / والقلعةُ العثمانيّةُ تسهرُ مرتديةً أسمالَها الفاخرةَ / لا قذائفَ من مدافعَ قديمةٍ /
لا آثارَ رصاصٍ / الأسوارُ الخفيضةُ تنهدمُ باستمرارٍ / وقريباً سوف يعلو السورُ المرمَّمُ صقيلَ الحَجر /
المئذنةُ صُبَّتْ كاملةً بالإسمنت / والمهندسُ لم يحفظْ حتى لآجرّةٍ واحدةٍ حقّهاَ في هواءِ
التاريخِ والبحرِ / سوف تكون المنارةُ أنيقةً في كامراتِ السوّاحِ الذين لا يأتون / الهلالُ الجديدُ
ليس من الإسمنت / إنه من نحاسٍ سريعِ الصدأِ برطوبةِ الشاطيء /
القلاعُ لا تولَد مرّتَين. . .

لنهبطْ، إذاً، إلى القاعِ.
الفرسانُ المسيحيّون، ثبّتوا خطوتَهم الأولى إلى ما لن يبلغوه إلى الأبد:
مكّةَ وشِعابِها.
المغيْرون المسلمون ثبّتوا في هذه القلعةِ الملتبسةِ، خطوتَهم الأولى إلى
ما لن يتركوه أبداً:
بلادِ الشامِ وأشجارها.
الضبّاطُ العثمانيّون كان لهم هنا مفصلُ البحرِ والصحراءِ،
والمدافعُ الأولى التي تدْفعُ عن طريقِ مكّةَ الطويلِ، ما قد يقذفُ به البحرُ،
المشهدُ واضحٌ، واضحٌ كالسينما الوثائقيةِ، وجارحٌ،
إذاً، لنهبطْ إلى القاعِ...
لنضع الأقنعةَ والزعانفَ وحزامَ الرصاص
لنحملْ، مثل جملَينِ، غذاءَ رئتَينا
ولْننقذفْ في الأمواهِ العميقةِ
حيثُ الزُّرقةُ ساحلٌ.

منظر

نصفُ تفّاحةٍ يختفي هادئاً في الجبال
تاركاً في الخليجِ عموداً من النورِ

لا موجَ في البحرِ
لكنّ كلَّ السماءِ المحيطةِ بي
تنشرُ الآنَ قمصانَها الأرجوان
نصفُ تفّاحتي غابَ
لكنني مثل خيّاطةِ الحيِّ
ما زلتُ أطوي على ساعدَيَّ السماءَ
وقمصانَها الأرجوان.

(٢)

لا بحرَ بينَ هواءِ مصرَ وبحرِها
لا بحرَ بين هواءِ جَدّةَ في الجنوبِ وبحرِها
إنّا تَوحَّدْنا ببازِلْتِ البراكينِ
التي اندفعتْ لتفصلَ قارّتَينِ
فوحّدتْنا
ثم دارتْ في مفاصلنا، لننساها
....
....
....
ستُحْكِمُ شوكةُ الصحراءِ وخزتَها
لتبتعدَ البراكينُ

التي برَأتْ من البازلتِ آلهةً
وماءً دافقاً
ومرارةً فيها تذوبُ الروحُ. . .
تُحْكمُ شوكةُ الصحراءِ وخْزتَها
وتدفعُ سُمَّها فينا
فننسى كلَّ ما في الكونِ، كلَّ علامةٍ في الكونِ
إلاّها. . .
دهب/ شرم الشيخ/ نويبع / الغردقة / الدرّة/ عِيذاب /
الأسماءُ تتخاطَفُ مثل أسماكِ البحرِ الأحمر /
تتخاطَفُ حتى تبْلغَ هَرَر ومُكَلأ حضرموت / تتخاطفُ حتى
تتمادى. . . إلى صَحار ومضيقِ هرمُز
وبلادِ التاميل / تتخاطفُ حتى لَتتركُنا مدوَّخين / أسماءُ وكواسجُ
ودلافينُ / وحوريّات بحّارةٍ ثملِينَ
بالخطرِ والعواصفِ / سيأتي حجيجُ مصرَ / ومن هنا ستحملُ
الجِمالُ
الـمُرَفّلةُ كسوةَ الكعبةِ
التي كانت تُنسَجُ بأناةٍ غيرِ مصريّةٍ في متاهة القاهرة الـمُعِزّيّة /
«نحن مليئون بالسُّمّ»
يقولُ رامبو الفتى / مليئون بتاريخِ الأسَلِ والسيوف /
وهذه الجبالُ التي ترهِقُ أكتافَنا منذ ملايين
السنين / هذه الجبالُ السودُ / الجبالُ الورْدُ / الجبالُ الرملُ /

الجبالُ الجبالُ / من العقبة إلى عدن /
أيّانَ تهبطُ عليها، كما في المطر، قطرةُ ماءٍ؟ / ما نحن بسكارى /
نحن مدوَّخونَ بتاريخٍ لن يقرأه أبناؤنا /
مدوَّخون ببحرٍ هو جحيمُ البحّارةِ منذ قرونٍ /
سكّةُ الحديدِ اقتلَعَها البدوُ الـمُسَيّسون/
كما يقتلعون ضرساً مسوَّساً / والجِمالُ اشتراها متعهِّدو العساكر /
نحن لا نركبُ البحر /

ماذا نفعلُ، إذاً؟
ماذا تفعلين، أيتها البدويّةُ، بجَمالِكِ؟ بالخِمارِ الـمُقَصّبِ
ومِشْيةِ الـهُوَينى؟
وشفتاكِ الـمُسْوَدّتانِ المحمرّتانِ من لِحاءِ الجوزِ؟
وثيابِكِ المضوّعةِ ليلاً كاملاً بالبخور؟
أنّى أذهبُ بكِ؟
وأيّانَ الساعةُ التي سيدقُّ فيها قلبانا مثل مهراسِ البُنّ؟
سأرسُمُكِ أيتها البدويّةُ «المزركشةُ كشجرةِ الميلاد». . .
سأرسُمُكِ ماثلةً على ناقةٍ أو كثيبٍ،
سأرسُمُ صورتَكِ الفريدةَ ألفَ مرّةٍ. . .
لأبيعَها إلى سوّاحٍ موهومين.

منظر

الفنارُ القديمْ
مُطفأٌ
لم يَعُدْ في صخورِ المواضعِ بحّارةٌ
وحدهُ الموجُ
يلمُسُ، كالقطِّ، كرسيَّ مقهى،
دخانٌ من الضفةِ الثانيةْ
والسفينةُ تُقْلِعُ.
من زورقٍ يتخطّى الفنارَ القديمَ
شِباكٌ تدلّتْ. . .

(٣)

سنُوقِرُ سمعَنا عمّا يقولُ البحرُ
سوف نُشِيحُ عن شمسِ الغروبِ
وملعبِ الأمواجِ. . .
سوف نكونُ أتْباعاً لهذا أو لهذا
نكتفي من كل قافلةٍ
بـخُبْزةِ مَلّةٍ
وبتمرتَينِ. . .
وسوف ننسى كيف نرسُمُ بالنجومِ فُجاءةَ الصحراءِ

والطُّرُقِ التي لا تنتهي. . .
لا بحرَ يغسلُ منتهى أحلامنا بالملحِ والمرجانِ والأسماكِ
لا صحراءَ تُنْبِتُ وردةَ المجهولِ. . .
صرنا بينَ مصطفِقَينِ ينطبقانِ
باعاً بعدَ باعٍ،
كيف نُفْلِتُ؟
كيفَ نُبْعِدُ أن تَعُدَّ عِضادتانِ
دقائقَ الرملِ الذي سيكونُ مثوانا الأخير وَعُشَّةَ العششِ؟
. . . .
. . . .
. . . .
اختفى المرجانُ
واندفعَتْ سراطينُ الشواطيءِ نحو مأواها.

*

لا جمَلَ لدينا ولا سفينة/ لا خيمةَ ولا منزل / لكن لنا أن نسألَ عن المأوى/
والعقبةُ خاليةٌ على عروشِها / العشيرةُ أمسَتْ شيخاً /
والشيخُ في الحاضرةِ البعيدةِ /
كلُ شيء مؤجَّلٌ مثل ديونِ الجنودِ /
العقبةُ مؤجَّلةٌ / الحروبُ في الكتُب /
والسلامُ في الدفاترِ / ونحنُ: لا رَكْبٌ ولا بَحّارةٌ /

نحنُ في العقبةِ حسبُ /
علينا، إذاً، أن نختلقَ المأوى / ليكُنْ لَبِناً وصفيحاً / ليكنْ ألواحاً
ممّا ألقت السفنُ / ليكنْ حبالاً وأنسجةً مموّهةً / ليكن العراء. . .
هكذا بنَينا، نحن اليتامى، العقبةَ الفقيرةَ، مأوى ذا دروبٍ مُتْرِبةٍ
ودكاكينِ فولٍ
وفلافل / لنا أيضاً مقاهينا / حيث الشاي ذو القروشِ العشرةِ /
وورقُ اللعِبِ المهترِيء /
سائقو الشاحنات والمهربون بين مرافيء البحر الأحمر
يسكنون أفئدَتَنا وحجُراتِنا العارية / أين سنذهبُ هذا المساءَ؟
بار روميرو مفتوحٌ عند البحر /
حانةُ إلكازار أيضاً / وناصيةُ علي بابا / ثمّتَ مشاربُ سرّيّةٌ وفتياتٌ
ـ إن شئتَ ـ /
أنت تفضِّلُ الشاي بالنعناع / نادي الغوصِ الملكيّ (سوف يُباعُ)
أغلقَ أبوابَه في الرابعة /
لماذا تنظرُ إليّ بالنظرِ الشزْرِ؟
أتقولُ إني لا أعرفُ كيف أقودُكَ؟ / فلْنذهبْ إلى إيلات. . .

*

الصباحُ في العقبةِ باكرٌ دائماً / ثمّتَ طراوةٌ وشجرٌ مبتلٌّ برطوبةِ
الليل /
والتلاميذُ في الشارع الضيّق / يحملون أرغفةً ساخنةً فيها حبّاتُ
فلافل /

الـمَسْمكةُ تُعَلِّقُ (مثل الخراف) أسماكَ التونة / والحلاّقون ينفضون عن كراسيّهم
ما تبَقّى من شَعرِ البارحة / فلاّحو العقبة (مصريّون) جاؤوا إلى السوقِ /
بالفجلِ الأحمرِ والنعناعِ والكزبرةِ / شارعُ الحمّامات لم يفتحْ مقاهيه بَعدُ.

*

الحيُّ القديمُ يضِجُّ الآنَ في حُمّى الهاجرةِ.
السلامُ عليكَ يا بنَ عبدِ الله. . .

منظر

الجبالُ رماديّةٌ
غيرَ أنّ الرماديّ ينكشفُ الآنَ
أبيضَ / أزرقَ مثلَ الضّباب. . .
النُّخَيلاتُ مزْرَقّةٌ هي أيضاً
وفي البُعْدِ
في أوّلِ الكونِ
يبدو السحاب. . .

العقبة ـ عَمّان، ١٢-١٦/ ١/ ٢٠٠١

عند قلعة الكرَك

دائماً، في الغروبِ، تبدأُ أسوارُ القِلاعِ التنفُّسَ.
إنتهتِ الحربُ، منذُ قرنَينِ أو عشرينَ قرناً،
لكنها فَجأةً تعودُ إذا ما هبطَ الليلُ، يُوقِدُ
الـجُنْدُ في الأبراجِ قنديلَهم، بعيداً عن الريحِ،
ويبكون وحدَهم. سوف يأتي الرسولُ،
حتماً سيأتي، حاملاً رأسه على رأسِ رُمْحٍ.
ربما كان متعَباً، فغَفا بانتظارِ أن يورِقَ الرمحُ
مع الصبحِ.
هل تُراهُ سيستيقظُ؟والـجُنْدُ في البُرْجِ،
وقنديلُهُم تخافَتَ، والصبحُ لم يجيءْ،
والرسولُ الذي سيأتي وقد ثبّتَ بالرمحِ رأسَه،
بَعْدُ لم يأتِ.
إذاً، ما الذي سيفعلُهُ الجندُ في الصباحِ الـمُنَدّى؟
ما الذي يفعلون؟

*

توْقِفُ أسوارُ القلاعِ التنفُّسَ
والقنديلُ فحمٌ في الماءِ والريحِ.

الحروبُ انتهتْ
ولكنها سوف تنادي جنودَها دائماً
كلَّ مساءٍ
وسوف يأتي الجنودُ.
. . . .
. . . .
. . . .
دائماً
دائماً
سيبكي الجنودُ.

عمّان، ١٤/ ١٢/ ١٩٩٢

يومُ سبتٍ غائم

ضبابٌ على المتوسِّطِ. . .
لا طيرَ يمْرُقُ عبر زجاج النوافذِ
لا صرخةٌ من نوارسَ،
والرايةُ المغربيةُ هامدةٌ فوق مبنى الضرائبِ.
مَن أمَرَ الشمسَ أن تتأخّرَ؟
مَن قادَ مرْكبةَ الثلجِ حتى هنا، في أزقّةِ طنجةَ؟
إني اتّخذتُ سبيلَ هروبي، جنوباً، لأهجرَ لندنَ
والقارةَ المتوحشةَ. . .
الثلجُ يتبعُني من هناكَ!
ولكنني سوف أنتظرُ الشمسَ:
إفريقيا
واللقالقَ (أعشاشُها في رؤوسِ المآذنِ)
أنتظرُ الأغنيةْ!

طنجة، ١٦/٠٢/٢٠١٣

قبلَ سوقِ المُصَلّى

في شارعِ موسى بنِ نُصَيرٍ
في آخرِهِ
إذ ينعطفُ الناسُ إلى السوقِ،
هناك المقهى.
سأقولُ:
زبائنُ هذا المقهى هنَّ قحابٌ غابتْ نُضْرَتُهُنَّ مع الزمن القاسي
والليلِ المثقَلِ
والمهمَلِ...
هنَّ يجئنَ صباحاً، كلَّ صباحٍ، يُفْطِرْنَ هنا
شاياً وشطيرةَ جُبْنٍ بلديٍّ،
ثم يَطِرْنَ إلى ركْنٍ في الشارعِ، غيرِ بعيدٍ
ويقِفْنَ هناكَ، الساعاتِ... الساعاتِ؛
يثرثرْنَ
وينظُرْنَ
أيأتي شيخٌ ريفيٌّ
سائقُ شاحنةٍ
بائعُ أسماكٍ جوّالٌ...

يأخذُ واحدةً منهنَّ؟

. . . .

. . . .

. . . .

ما عُدْنَ كما كُنَّ:
الزمنُ القاسي غيّبَ نُضْرَتَهُنَّ.
وهذا الشارعُ لا يرحمُهنّ. . .

*

أنا أجلسُ كلَّ صباحٍ في هذا المقهى
فنجاني يبرَدُ،
والشارعُ يخمدُ،
لكني أحكي، في صمتي، معهُنّ. . .

طنجة، ٢١/٠٢/٢٠١٣

جرسيف(*)

(بلدة في شرقيّ المملكة المغربية)

هي تنتظرُ الساعةَ الأجنبيّةَ:
أن يَنْجمَ النفطُ كالماءِ عبرَ المفازاتِ
أن يتعالى عمودٌ من الغازِ يطعنُ هذا الهواءَ النقيَّ الذي لم يَعُدْ يُطعِمُ الناسَ
أن تأتي الحافلاتُ مطهّمةً كالجيادِ
وأن تُبتنى في الغياض الفنادقُ،
ماذا جنَينا من الزيتِ نعصرهُ؟
نحن نغدو، مع الأرضِ، أفقرَ، أفقرَ. . .
فلْتُقْفر الأرضُ!
أشجارنا؟
سوف نقطعها كي تكون بخوراً لمن يُخرجون لنا النفطَ والغازَ. . .
نرجوكَ أن تفهمَ الأمرَ:
ننتظرُ الساعةَ الأجنبيّةَ

(*) جرسيف، تُنطَق الجيم مصريّةً.

كي نقهرَ الفقرَ. . .
يا سيّدي!

طنجة، ٢١/٠٢/٢٠١٣

الرأس الأسود Cabo Negro

تلك الداراتُ
تلك الداراتُ على هضَباتِ الريفِ
الداراتُ ذواتُ اللونَين: الأبيضِ والأزرقِ
يسكنُها الآنَ الطيرُ العابرُ
والضفدعُ،
أحياناً تسمعُ ديكاً (من كوخ الحارسِ طبعاً)
بل تسمعُ شِبْهَ أنينٍ...
أهو البحر؟
البحرُ قريبٌ، لكنّ البحرَ بعيدٌ،
أبعدُ حتى من خارطةٍ لابنِ بطوطةَ
بحرُ الريفِ وراء الأسوارِ
وراءَ الأنظارِ
فقراءُ الشاطيءِ لن يجدوا في هذا الشاطيء مَلْعبَهم
لن يُحْيوا الليلَ مع القيثار؛
فقراءُ الشاطيءِ ممنوعون
فقراءُ الشاطيءِ مطرودونَ:

هنالك حرّاسٌ، ومساءٌ، ونساءٌ للوحشِ الطبَقيّ
سفائنُ للوحشِ الطبقيّ
مَراسٍ
ومراسمُ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
لكني سأعودُ إلى كتُبي
أقرأُ تاريخَ مقاومةٍ كانت في هضَباتِ الريف!

طنجة، ٢٦/ ٠٢/ ٢٠١٣

الأعظميّة

يا صُبْحُ
يا مصباحُ
يا ليلى. . .
أأنتِ الأعظميّةُ؟
إنني أمضي عميقاً في الأزقّةِ كي أُلاقي شارعَ العشرين. . .
أيُّ حمامةٍ ستدورُ في كفِّي؟
لقد ذُعِرَ الحمامُ: أبو حنيفةَ يُستباحُ
مقابرُ الشهداءِ ، والأهلِ الأُلى ماتوا طويلاً. . . تستباحُ
كأنّ جيشَ المالكيّ القزم تيّاهٌ بمعركةٍ!
سلاماً، نخلتي، في شارعِ العشرين. . .
لا تأسَي!
فقد يَسّاقَطُ الرُّطَبُ الـجَـنِيُّ لتتّقي هولَ الرصاصِ
وقد يتوافَدُ الأطفالُ حولكِ والعصافيرُ.
اصبِري يا نخلتي في شارع العشرين. . .
كوني مثلَ أهلِ الأعظميّةِ،
مثلَ ما أفتى لنا النُّعمانُ من حُرّيّـةٍ؛
كوني كما شاءَ الـمُـقَـدّسُ أن تكوني!

طنجة، ١٤/ ٠٢/ ٢٠١٣

إغفاءةٌ

أستحي أن أمُدَّ يدَيَّ إليكِ
لقد هدأَ البحرُ
والرملُ ما زالَ محتفظاً بحرارتِهِ؛
كانت الشمسُ تلمعُ ما بينَ ساقَيكِ. . .
هل أتوسَّدُ واحدةً منهما؟
أنتِ تستمتعين بشَعري المبلّلِ
نافضةً بأناملِكَ الرملَ عن خصُلاتٍ تَناهبَها الشيبُ
أغفو
ويغفو معي البحرُ؛
. . . .
. . . .
. . . .

ما أبسطَ البَسْمَلـةْ!

طنجة، ٠٥/ ٠٣/ ٢٠١٣

زورقٌ سِــرِّيٌّ

كيف لا أتصوّرُ عيشاً بهِ؟
منزلٌ خشبيٌّ على الماءِ
تدخلُهُ، ثم تبصرُ أنكَ منزلقٌ، مثلَهُ، فوقَ سطحِ البحَيرةِ. . .
كان الشتاءُ مقيماً ببردائهِ
والثلوجِ.
البحيرةُ تثوي، رصاصيّةً
أنت توشكُ أن تتجمّدَ. . .
أرجوكِ:
هاتي التَّكيلا!

طنجة، ٠٥/ ٠٣/ ٢٠١٣

حُرْجٌ ليسَ بعيداً عن الطريق العامّ

أتذكّرُ:
كانت تدورُ بسيّارتي بين تلك القرى
حول لندنَ...
كانت تسوقُ كمن تتنزّهُ فوقَ حمارٍ
وتضحكُ!
في بغتةٍ دخلتْ مَسْرَباً ضيِّقاً
ثم قالت: لننزلْ!
أتعرفُ أيَّ مكانٍ ندورُ بهِ الآنَ؟
نحنُ في الحُرْجِ حيثُ الجنودُ يجيئونَ
ما بين يومٍ وآخرَ
كي يأْلَفوا نزَواتِ السلاحِ الجديد!

طنجة، ٠٥/٠٣/٢٠١٣

اللُـهاث

في الممرِّ الذي يصلُ السفحَ بالقمّةِ، الثلجُ
كان الصعودُ بطيئاً
عواسجُ في الجانبَينِ
وعشبٌ نديٌّ. . .
وأصعدُ؛
كانت أمامي
وكانت لها خِفّةُ الـماعزِ الجبليِّ
وتضحكُ مني:
أتَلْحَقُني؟
كنتُ ألهَثُ. . .
كان الممرُّ يضيقُ،
ولكنني سوف أمضي لألحقَ تلكَ الغزالةَ
حتى النهايةِ
في قمّةِ التلِّ، حيثُ الخيول!

طنجة، ٠٦/ ٠٣/ ٢٠١٣

جبالُ الريف

منذُ ثلاثةِ أيّامٍ
ما عُدتُ أرى في الأفقِ الـمُـلْـتَزِّ
جبالَ الريفِ. . .
كأنّ جبالَ الريفِ انجرفَتْ
تحت المطرِ الـثَّـرِّ
وأنّ الأرضَ انبسطتْ
حتى كادت طنجةُ تغرقُ في المتوسِّطِ. . .
مثل سفائنِ ماجلاّنَ
الملعونةِ
في أمواهِ الشرقِ الأقصى!

طنجة، ٠٧/ ٠٣/ ٢٠١٣

البرق يلوحُ من «طريفة»(*)

تخاطَفَ البرقُ، فجراً، من «طريفةَ». . .
كان الفجرُ أسوَدَ
حتى والمباني الضِخامُ البِيضُ ماثلةٌ
أمامَ نافذتي
البرقُ العجيبُ أتى من الجزيرةِ
تلك المشتهاةِ؛
ترى الجزيرةَ رأيَ العينِ. . .
رُبتَما أرادَ «طارقُ» أن يُبقي سفائنَهُ فيها،
ورُبّتَما. . .
لكنه البرقُ تأتينا غرائبُهُ
مع التخاطُفِ
إنْ صدقاً، وإنْ كذِبا. . .
أغلقتُ نافذتي، ثم التففتُ بما لدَيّ
مكتفياً، بالنفسِ، مضطرَبا!

طنجة، ١٠/ ٠٣/ ٢٠١٣

(*) طريفة، جزيرة إسبانية صغيرة، تمْكنُ رؤيتُها بالعين المجرّدة من ساحل طنجة. استخدمها طارق بن زياد، رأس جسرٍ، في الفتح.

عُمّالٌ مَغاربةٌ

من الثامنةِ، الصُّبْحَ
إلى الخامسةِ، العصْرَ
نُرَقِّقُ أرغفةً
ونرَمِّمُ أرصفةً
وننامُ بلا صلَواتْ.

تسألُنا، ماذا نأكلُ؟
تأكلُنا البِيصارةُ
والكمّونُ الناشفُ والفلفلُ.
يأكلُنا الجوعُ
ويأكلُنا القهرُ كأنّا ذُؤبانُ الفلَواتْ

وإلى الشاطيء تحملُنا عرباتُ الأحمالِ
لنبني داراتٍ وفنادقَ
نبني تحصيناتٍ وخنادقَ
لكنّا حين يجيءُ الليلُ
نكون طريدينَ، بعيداً عمّا شِدْنا من حُجُراتْ

أَنُغَنِّي؟
أحياناً، نتذكّرُ أنّا كنّا أطفالاً
أنّ هناكَ قُرىً في الريفِ أحَبَّتْنا
نتذكّرُ أنّا أحبَبْنا
فتنوحُ بنا العَبَراتْ

طنجة، ١٤/ ٠٣/ ٢٠١٣

الصّمت

في هذا السبتِ الباردِ
تبدو الشمسُ مؤجَّلةً، حتى لَكأنّ سماءَ المتوسِّطِ
قد طُلِيَتْ بالإسمنْتِ الأبيضِ.
حاولتُ، بلا جدوى، أن أستحضرَ صوتَ مُغَنِّيةٍ
كانت تعشقُني في باريسَ...
وحاولتُ، على مهلٍ، أن أُمسِكَ بالضوءِ المتبدِّدِ
من كأس نبيذٍ كنّا نترشَّفُهُ ظُهراً.
لكنَّ الصمتَ عميمٌ
والشمسَ مؤجَّلةٌ
وسماءَ المتوسِّطِ تُطْبِقُ حتى كادَ الشارعُ يختنقُ:
الصمتُ تَحَصَّنَ بي
بالمغلَقِ من حشرجتي في هذا السبتِ الباردِ
بالمغلَقِ من أيّامي في النُّزْلِ الباردِ
بالمغلَقِ من أنفَاقٍ لقطاراتٍ لن تأتي...

طنجة، ٢٠١٣/٠٣/١٦

شفْشاوِن

من «رأسِ الماءِ»
بِشِفْشاوِن. . .
من أوّلِ «رأسِ الماءِ»
يُبَقْبِقُ رأسُ المالِ،
صغيراً
وفقيراً
لكنك تعرفُهُ،
تعرفُ رأسَ المالِ
دكاكينَ تبيعُ شبابيكَ وأبواباً مُصطبِغاتٍ بالأزرقِ
ما جاءَ به الأندلسيّونَ زماناً صارَ بضائعَ كاذبةً:
أبواباً ليستْ أبواباً
وشبابيكَ مُطَهّمةً، ليستْ بشبابيكَ
وثَمَّ جلابيبُ
وأنصافُ جلابيبَ
وأثوابٌ
لكنْ من صوفٍ مغشوشٍ ذي ألوانٍ تَنْصُلُ بعد سُوَيعاتٍ
أو تحتَ المطرِ المتقطِّعِ

أو تحتَ رذاذٍ من «رأسِ الماءِ». . .
وشِفشاونُ لا تعرفُ من أيّ مكانٍ تبدأُ شفشاونُ:
. . . .
. . . .
. . . .
هل تبدأُ ممّا يُسْمى «القصْبةَ»؟
أو ممّا كان جداراً أو بُرجاً من طينٍ أحمرَ؟
هل تبدأُ من ساحتها المكتظّةِ بالسُوّاحِ؟
من صيحاتِ المحتالين؟
من درْجاتِ سلالمَ ظلّتْ تتآكلُ والأعوامَ؟
من مطعم أسماكٍ دونَ نبيذٍ؟
من صحنِ العدسِ المجّانيّ؟
هل تبدأُ ممّا لا تذكرُهُ شفشاونُ:
أشجارِ المرتفعاتِ
وجُبْنِ الماعزِ؟
والعوسجِ محمولاً فوقَ ظهورِ النسوةِ؟
والطيرِ العابرِ
واللقلقِ يبني فندقَهُ. . .
هل تبدأُ ممّا أذكرُهُ منها:
قلعةِ أحرارٍ جابوا الصخرَ بِواد؟

المضيق - جوهرة سْمير، ٢٤/ ٠٣/ ٢٠١٣

الشيوعيّ الأخير يريد أن يتغدّى

كان الشيوعيُّ الأخيرُ يجولُ جولتَهُ الأثيرةَ
في أزقّةِ طنجةَ. . .
هابطاً من هضْبةِ السوقِ القديمِ إلى مقاهي المرفأِ؛
انتظرتْهُ، يوماً، مَن توهَّمَ أنها استهوَتْهُ
أو هوِيَتْهُ!
وهو، اليومَ، ماضٍ نحوَها، في المكتب البحريّ
كان يقولُ:
قد تأتي معي، لنكون في رُكْنٍ، بمطعمِها، على البحرِ.

السماءُ عجيبةٌ في شهر آذارَ!
الشيوعيُّ الأخيرُ يكادُ يغرقُ تحتَ سيلٍ دافقٍ من غيثِ آذارَ. . .
الملابسُ (وهي شِبْهُ جديدةٍ حتى لأغنية الغرامِ) غدتْ من الزخّاتِ،
أسمالاً!
إذاً
يا صاحبي
يا مَن أُسَمِّيكَ الشيوعيَّ الأخيرَ
عليكَ أن تلقى حلولاً للتناقُضِ!

هل ستمضي نحوَ مَن تهوى؟
أتمضي تحتَ هذا السيلِ؟
امْ ترتدُّ كالحلَزونِ في مُلتَفِّ قوقعةٍ؟
أجِبْ في لحظةٍ!
قَرِّرْ!

وقَرَّرَ صاحبي أن يكتفي بالنزْرِ
ولْيدخُلْ هنا... في المطعمِ الشعبيّ
ولْيأكلْ هنيئاً: طاسةَ العدَسِ!
المدينةُ سوف تعودُ مُغريةً غداً
ولسوف يذهب نحوَ مَن يهوى... هنالك عند أرصفةِ العبورِ
إلى «طريفةَ»

....

....

....

ربما رضِيَتْ صديقتُهُ أخيراً!

طنجة، ٢٦/٠٣/٢٠١٣

خلِّنا نتمازَحُ!

في المساءِ المبكِّرِ يأتي السنونو
ويأفُلُ عن طنجةَ النورسُ. . .
الليلُ يهبطُ شيئاً فشيئاً، هُنا
(هكذا يلعبُ الطيرُ)
يأتي السنونو
كما أنتِ، يخطِفُ بين المباتي وتاريخِها
يتخاطَفُ حتى يمسّ الزجاجَ
ويخطِفُ
يخطفُني. . .
قد تقولين: لا شأنَ لي بالذي أنتَ مُضنىً بهِ. . .
أنا لا شأنَ لي بالسنونو
ولا بالنوارسِ؛
أنا لا شأنَ لي بكَ، حتى. . .
أقِمْ حيثُ أنتَ
أقِمْ حيثُ شئتَ
أقِمْ حيثُ تأتي النوارسُ

أو حيثُ يأتي السنونو. . .
أنا لا شأنَ لي
. . . .
. . . .
. . . .
حسناً
غيرَ أني أُحبُّكِ!

طنجة، ٠٨/ ٠٤/ ٢٠١٣

محكمة عسكرية

خمسون مرّتْ منذُ أن أدخلتَني، بـ«معسكرِ التاجيّ» في بغداد
مغلولاً
ومرتعشاً
أُحاكَمُ. . .
كان حكّامي الثلاثةُ، مثل ما قرّرتَ، ضبّاطاً
وكانوا يلمعونَ
نظافةً
وقيافةً. . .
أمّا أنا، المغلولُ والـمُضنى، فقد كنتُ الأسيرَ
وكان حرّاسي الذين تناوبوا ضربي اختفَوا. . .
وحدي مع الضبّاط!
لم أكُ خائفاً؛ لَكأنَّ طيراً كان ينقرُ جبهتي ويقولُ:
إرفعْ رأسَكَ!
الرجُلُ الذي هوَ مَن ستحيا: وقفةٌ!
أرجوكَ
إرفعْ رأسَكَ. . .
الشعراءُ والأشجارُ أعلى!

طنجة، ٢٤/ ٠٤/ ٢٠١٣

مُكالَمةٌ

تداعبُني نَوارُ، وكان فوق لسانها عسلُ البداوة: هل بدأتَ تحبُّني؟
كانت نوارُ، هناك، عبرَ البحر...
يأتي الصوتُ مرتجفاً قليلاً.
(أهيَ أغنيةٌ؟)
أقولُ: أُحبُّكِ!
الصوتُ الذي يأتي وقد قطعَ البحارَ وليلَها الثلجيّ
أمسى شاخصاً عندي
أكادُ أضمُّهُ لأضُمَّ خِصْراً من نوارَ وخُصلةً...
فأضيع!
قولي، يا نوارُ، وأنتِ مائدةُ الندى:
أيّانَ تأتينَ؟
الزهورُ تفتّحتْ
والنحلُ يأتي
والسناجبُ ترتقي الأغصانَ مثلَ الطير؛
قولي يا نوار!

٢٢/٠٥/٢٠١٣

لعنةُ العراق

«نتغدّى بهِ،
قبلَ أن يتعشّى بنا. . .»
ها هي ذي الحكمةُ الأبديّةُ عند العراقيّ؛
من سومر الماءِ
حتى جلاميدِ آشــورَ. . .
من ثورة الزنجِ
حتى مذابحِ صدّامٍ،
الحكمةُ الأبديّةُ باقيةٌ:
«نتغدّى بهِ
قبلَ أن يتعشّى بنا. . .»؛
الآنَ أسألُ:
يا سيّدي
أيُّهذا البسيطُ العراقيُّ. . . أنتَ شقيقي
إذاً، أنا لستُ عدوّكَ.
لستَ عدوّي.
ولكنْ، قد استحكَمَ الأمرُ!
هاأنتذا، تتمثّلُ حكمتكَ الأبديّةَ، تلكَ التي قتلتْ سومرَ الماءِ

تلك التي قتلَتني، أنا، كلَّ يومٍ هنا:
«نتغدّى بهِ،
قبلَ أن يتعشّى بنا...»
....
....
....
أيُّهذا البسيطُ العراقيُّ:
كُنْ لحظةً أنتَ
كنْ لحظةً، مثلَنا!

لندن، ٢٦/٠٥/٢٠١٣

ثلاثة أيام متعاقبة

١

يجيءُ الغيمُ، أسودَ، أطلسيّاً، وتلك الريحُ تدفعُهُ، وئيداً، مع الشمسِ التي اختفت. البيوتُ التي هي ههنا أمستْ ظلالاً، لها شَبَهٌ بما كانَ البيوتَ. كأنَّ غرقى سفائنَ يُجهِشونَ. يكادُ جِلْدي يئِنُّ مع المجاذيفِ التي في القاعِ. هل بحّارةٌ دخلوا إلى الحانِ العتيقِ؟ هل النساءُ اللواتي ينتظرْنَ مجَلْبباتٌ بالسوادِ؟ الغيمُ يهبِطُ. سوف تلمُسُ ما ترَفّلَ منهُ أشجارُ الحديقةِ. سوف تبكي.

٢

إذاً... جاءَ الخميسُ!

سألبسُ الجِينْزَ الذي يبدو لِعَيني أصفرَ. الأشجارُ في المَرْجِ المحيطِ توشوِشُ. الحِدَأُ اقترَبْنَ من التلالِ. وثَمَّ، خلف السورِ، أبصرتُ الغزالةَ تقضِمُ الورقَ الطريَّ. سيهبطُ السنجابُ من أعلى الصنوبرةِ. الخميسُ الموعدُ! الأيّامُ شاحبةٌ، ولكنْ سوفَ تُبْلِغُني الخميسَ...

صديقتي ستقولُ لي: كيفَ انتقَيتَ الجينْزَ أصفرَ؟ سوف نضحكُ، ثم نسترخي على ضَوءِ النبيذ.

٣

أنا لا أُصَلِّي...

غير أنّ الجمْعةَ اختلجَتْ. إذاً، سأكونُ في مَكْناسَ. مقتبِلاً بها بوّابةَ المنصورِ، مبتهِلاً... عسى مولاي إسماعيل يسمعُني. أقولُ: يا مولاي، هل تدري بما صنَعَ الهديمُ بنا؟ بما صنعَ الهديمُ بكَ؟

الكتيبةُ لم تَعُدْ سوداءَ. سوف تقودُ، يا مولاي، مجموعاتِ سوّاحٍ، إلى بوّابةِ المنصورِ. تعرفُها؟

لقد أعلَيتَها حقّاً، ولكنّ الزمانَ النذلَ حَلَّ. وأنتَ ممتقِعٌ بدونِ كتيبةٍ سوداء!

لندن، ٣١/ ٠٥/ ٢٠١٣

متروبول Metropole

١

٢٠١٣

المتروبول، ظننتَها وحشاً. وكم فكّرتَ أنك لن تراها، ولأقُلْ حتى ولو في الحلُم!

كنتَ ترى المدينةَ مثلَ ما هيَ: ثُكْنةَ المستعمِرِ الأولى، مطاراً حيثُ ينطلقُ الغُزاةُ إلى نخيلِ أبي الخصيبِ، ونبتةِ الحنّاءِ في الفاوِ. انتظرتَ إلى المشِيبِ لكي ترى في المتروبولِ البيتَ والمأوى! فهل هانتْ حياتُكَ، أم تُرى مَن هانَ ليس سواكَ؟ ما أقسى المعادلَةَ! الحياةُ كريمةٌ في المتروبولِ، خسيسةٌ أنّى وُلِدْتَ... أأنتَ تهذي؟

٢

١٩٦٤

قد كنتَ أتممتَ الطقوسَ بـ«نُقْرةِ السلمانِ»، أو بعقوبةَ. الكابوسُ مفتوحٌ، وفي يدِكَ الجوازُ مُزَوّراً. في سِيْدِي بِلْعبّاس، غربيّ الجزائرِ، سوف تهبطُ من قطار الليلِ، سوف تكونُ عند المتروبولِ.

يقولُ قاسمُ: مرحباً! في النُّزْلِ كان الضوء يشحبُ قالَ قاسمُ: أنتَ شيخٌ!
غرفتي في «المتروبول» صغيرةٌ، لكنها أزهى من الوطنِ الـمُضاع.

٣

٢٠١٣
الليلُ في «كازا» يكادُ يَشِعُّ عند البحرِ. تنطفيءُ المقاهي، كي تضيءَ موائدُ الحاناتِ.
سوف نسهرُ ليلةً في «المتروبول»: الفندقِ/ الملهى. الـمُغَنِّي سوف يأتي عندنا. . .
لكنّ «حسناءَ» الكريمةَ سوفَ ترتجلُ الأغاني. نحن مرتحلونَ في الليل البهيم. نعودُ من «كازا» إلى أفياءِ «طنجةَ» في ابترادِ الفجرِ.
كلَّ الليلِ كانَ النوءُ. أحياناً يغيمُ طريقُنا.
فكأننا ماضونَ في دربِ السماءِ.

لندن، ٢٠١٣/٠٦/١٤

وفاءٌ مستعادٌ

نعم!
أحببْتَها. . .
من نصفِ قَرْنٍ، وأنتَ تئِنُّ؛
تذكرُ كيف أسرى بوجْدِكُما قطارُ الليلِ. . .
لم تُحبِبْ سواها
وإنْ عاشرتَ سبعاً من العَبِقاتِ وُدّاً.
أنت تدري. . . كأنك لم تُقَبِّلْ غيرَها!
ما زال طَعْمٌ من الجوريّ في شفتيكَ، منها. . .
لقد أدميتَ منفتَحَ الطراوةِ،
أين تمضي بكل الوردِ؟
لم يذبلْ
ولم تذبلْ
كأن القطار يظلُّ من بغداد يسري
إلى نخلِ الجنوبِ. . .
كأن ماءً شفيفاً من عيونِ الله
يجري.

هذا القطارُ الذي مضى بكما، القطارُ ذو السكّة الضيّقة
القطارُ ذو مقصورة النوم الصغيرة مثل غرفة أطفالٍ. . .
سوف يحملك، يوماًما، من البصرة إلى بغداد، مكبّلَ اليدين.
كم حاولتَ أن تؤنسَ الشرطيّ المكلَّف! كنتَ فتىً آنذاك!

نعم. . . أحببْتَها
كانت فتاةً لها طَعْمُ العجينِ
وكان فيها من الطّلْعِ المفَتَّحِ ما تَقَطَّرَ. . .
كنتَ تدري بأنكَ لن تنامَ
وكنتَ تدري
بأن فتاتكَ انتظرتْ طويلاً لتهنأَ بالقطارِ.
لقد وصلْنا!

عربات الدرجة الثالثة، التي تنقل الجنود والفلاّحين والطلبة الفقراء
العرباتُ التي يئنُّ فيها الخشبُ، ويئزُّ الذبابُ والسعالُ والـصهدُ،
هذه العربات تتنقّل بالسجناءِ، ليتوزّعهم العراقُ العميقُ. كنتُ
مع الرفيق سامي أحمد، رسغي اليمين مُوْثَقٌ إلى رسغـه الشمال.

أخيراً
تعلّمتُ أن الحياةَ التي قُدِّرَتْ لي، هيَ الصورةُ!
الأمرُ أعسرُ من أن تقولَ: لقد عشتُ. . .

أبسطُ من أن تقولَ: سلاماً!
إذاً، فلْنكُنْ في القطار...

نعم...
أنت أحبَبْتَها!

لندن، ٢٢/٠٦/٢٠١٣

حديقةٌ سِـرّيّـةٌ

تُهاتِفُني نوارُ: أراكَ!
قُلتُ: إذاً سأكسرُ كلَّ مِرآةٍ
لأسكنَ، هانئاً، عينيكِ. . .
كم تبدو الحياةُ شحيحةً
وقبيحةً،
عبرَ المرايا!
أنتِ أعلَمُ، يا نوارُ، بأنّ مَرأى الوردةِ الشاميّةِ العاديَّ
ليسَ الوردةَ الشاميّةَ. . .
الأشياءُ ليست، دائماً، مَـرْئِيّـةً.
والقولُ أخفى من غماغمَ قد تُقالُ.
. . . .
. . . .
. . . .
كأنّ صوتَكِ، وهو يهتفُ لي: أراكَ
حديقةٌ سِـرِّيّـةٌ بين الزنابقِ والأراك!

لندن، ١٧/ ٠٧/ ٢٠١٣

أغنيةٌ عراقيّةٌ معروفةٌ

مطرُ الصيفِ، حُبُّكِ
ما بلّلَ الشفتينِ اللتينِ تريدانِ. . .
ما بلّلَ الكأسَ في المطعمِ الفارسيّ القريبِ
وما بلّلَ العشبَ،
ما بلّلَ الشرشفَ. . .
الشفتانِ اللتانِ تريدان ما زالتا، منذ أمسِ، تريدانِ؛
أرجوكِ أن تفهمي:
مطرُ الصيفِ حُبُّك ِ
والصيفُ ليسَ أميرَ الفصولِ!
. . . .
. . . .
. . . .
السحابةُ أنتِ
إذاً
أنتِ، منذورةٌ للهطول. . .

لندن، ٢٧/ ٠٧/ ٢٠١٣

أن تتمشّى صيفاً على امتداد القناة

لا مراكبَ ضيّقةً
أنْـهَـرَ(*) الغجرُ الإنجليزُ، مع النهرِ،
فجراً،
ولم يتركوا في ضفافِ القناةِ العريضةِ
غيرَ خراءِ الكلابِ
وتلِّ القُمامةِ. . .
قد أنهَرَ الغجرُ الإنجليزُ
ولكنني، ما أزالُ، هنا، منذُ عشرٍ
أسيرُ على مَسْرَبٍ في القناةِ العريضةِ، منتظراً أن أراها. . .
لقد رحلتْ
(منذُ قرنٍ؟)
ولكنني لا أزالُ، على العهدِ، منتظراً أن أراها. . .
المراكبُ قد أنْهرَتْ، تصْعَـدُ النهرَ، نحو الشمال

(*) أنْهَرَ، مثل أبحَرَ، انطلَقَ في النهر. الفعلُ أنهَرَ من اشتقاقي، ولم يسبقْ له وجودٌ في العربيّة.

وهاأنذا أهبِطُ :
الدرْجـةُ التاليةْ
ستكونُ الأخيرةَ
حيثُ المراكبُ، في القاعِ
حيثُ السكون. . .

لندن، ٢٠١٣/٠٨/٠٣

برلينُ الصيفُ

سأكونُ عند ودادٍ الحوراءِ في أيلولَ،
آنَ الخمرةُ البيضاءُ
والقنَواتُ. . .
في برلين،
سوف أكونُ مرتبكاً:
ودادُ حبيبتي الأولى
الصبيّةُ في زمانِ الوردِ. . .
كدتُ أُجَنُّ مَلْسوعاً، أقولُ: ودادُ بغدادُ!
المقاهي لن تُغَلِّقَ، لحظةً، أبوابَها، في الصيفِ.
سوف تلُمُّ طاولتي، ودادَ، وزهرةَ الخشخاشِ. . .
لكنْ، كيف يأتيني الكلامُ؟
لسانيَ التأتاءُ قد بَرأَتْهُ أوربا طليقاً. . .
هل ستفهمُني ودادٌ؟
هل أقولُ لها: صباح الخير؟
أَمْ أمضي أُقَبِّلُها؟
ودادُ
تحبُّني،

لكنْ. . . أتفهمُني؟
أظنُّ الـحُبَّ رَبَّ المعجزاتِ. . .
إذاً
سأمضي
مثلَ مجنونٍ
أُقَبِّلُـها!

لندن، ٢٠١٣/٠٨/٠٤

تقولُ لي إقبالُ

أوَكُلّما قرّرْتُ أن ألقى الحياةَ، كما هيَ، اشتطّتْ بيَ الأغصانُ!
بالأمسِ، كنتُ، كما ألِفْتُ، أسيرُ منسرحاً مع القنواتِ،
لكنني رأيتُ الشوكَ والقرّاصَ مُخْضَرّينِ
مندفعَينِ
أغمقَ من ندى النعناعِ!
إن تكُنِ الحياةُ كريمةً، كعوائدِ الممشى على جنْبِ القناةِ
فسوف أقول: أهلاً!
هكذا. . .
وتقولُ لي إقبالُ: يا سعدي، أحبُّكَ!
هكذا. . .
وأنا أُصّدِّقُها
لأن الصدقَ مرآتي،
وأعرفُ أن إقبالَ الكريمةَ، دونَ أسئلةٍ، تُصَدِّقُني. . .
أُطِلُّ:
الغيمُ ينقشعُ
البحيرةُ، في البعيد، تلوْحُ واضحةً
وصافيةً. . .

لندن، ٢٠١٣/٠٨/٠٩

استشارةٌ متأخرةٌ

أوَ كُلُّ مَنْ أحببْتُ صِرْنَ قصيدةً؟
أوَ كلُّ ما أبغضْتُ صارَ شواهداً في حفلتي؟
ما أخْيبَ الـمَسعى!

*

وما طَعْمُ القصيدةِ، إنْ فقدتَ روائحَ الجـُوريِّ،
والآسِ الـمُـفَـلْـفَلِ بينَ ثوبَيها؟
أتحسَبُ أنّ ما أفنَيتَ عُمرَكَ في كتابتِهِ. . . الحياةَ؟
إذاً؟
إذاً، يا سيّدي، فلْتَرضَ بالنزْرِ اليسيرِ
(كما ظننْتَ)!
بما تفضّلتِ الحبيبةُ أن تُبادلكَ:
النعومةَ
والكلامَ الهمْسَ
والنُّعْمى على متْنِ الفِراشِ. . .
أليسَ ما تهَبُ الحبيبةُ، في العشِيّةِ، منتهى البحرِ؟
القصائدُ لم تكُنْ إلاّ مدائحَها؛

فكُنْ عند الحبيبةِ
لا تكُنْ عندَ القصيدةِ وحدَها. . .
. . . .
. . . .
. . . .
أوَ كُلُّ مَن أحببتَ صِرْنَ قصيدةً؟
ما أخيبَ المسعى!

٢٠١٣/٠٨/١٧

استجابات

أُنصِتُ
كان المطرُ **النّثُّ**، يسيلُ ضَباباً، وأنا أستمتِعُ خلفَ زجاجِ السيّارةِ
أُنصِتُ
أَستنْبِتُ قِنَّبَ شفْشاوِن
زهرةَ نَوّامٍ من شيرازَ
وفِطْراً من أدغالِ الأمازونِ
وأوراقَ الكولا من البيرو. . .

*

أُنصِتُ
كان المطرُ **الوَدْقُ**، يسيلُ خطوطاً، وأنا أستمتِعُ خلف زجاجِ السيّارةِ
أُنصِتُ
أستقبِلُ أجنحةً تتخاطَفُ بين الصفصافِ الفحْلِ
أرانبَ تخطِفُ، كالبرقِ، لتدخلَ في ما لن تعرفَهُ. . .
طيراً أسودَ
أُغنيةً للضالِّينْ. . .
آمِيــــنْ!

*

وأُنصِتُ
كان المطرُ **الغَدْقُ،** يسيلُ شآبيبَ تدُقُّ
ولكني أستمتعُ خلفَ زجاجِ السيّارةِ. . .
كان المطرُ الغَدْقُ يقولُ:
افتحْ عينَيكَ
لتسمعَ. . .
وافتحْ عينَيكَ
لتلْمُسَ. . .
وافتَحْ عينَيكَ
لتعرفَ كيف يكونُ الكَوْن!

لندن، ٢٠١٣/٠٨/٢٤

جنّــةُ الجواميس الأولى

ليتَ تلكَ البلادَ التي كانت الماءَ، عادتْ، كما كانت: الماء ءَ
ماذا أقولُ لنفسي، وقد بَعُدَ العهدُ بي، وانتهى الوعدُ؟
بغدادُ سجنٌ
وفي البصرةِ السرَطانُ
وفي الموصلِ القاعدةْ؟

ثَـمَّ ما يجْمعُ الماءَ والنارَ
ما يجمعُ الطينَ والنارَ
ما يجمعُ الطيرَ والنارَ
لكنّ تلكَ البلادَ التي كانت الماءَ، لم تَعُدِ الآنَ حتى بلاداً
لتجمعَها لغةٌ أو أغانٍ. . .
وحوشُ العصورِ الخوالي تجوبُ مفازاتِها
وتُهَيُّ، من لحمِ أطفالها، المائدةْ.

رُبّـما قرأَ السعداءُ بأغلالهم، كُتُبَ الطينِ من بابلٍ
أو تماثيلَ آشورَ
بُـرْدِيَّ ســومرَ

أو نصفَ سطْرٍ يُحَدِّثُ عن بلدٍ كان يُسْمى العراق.
رُبّما. . .
غيرَ أنّ الجواميسَ تَمْضَغُ
تَمْضَغُ
تَمْضَغُ؛
ما الفائدةْ؟

لندن، ١٥/٠٩/٢٠١٣

قُبَيلَ العاصفةِ المطريّة

السماءُ الرصاصُ، سماءٌ رصاصٌ، كما هيَ، منذ ابتداءِ الخليقةِ
ريحٌ
ولا ريحَ. . .
حتى الغصونُ التي تتحرّكُ كانت تَنُوسُ بأنفُسِها.
حِدْأتانِ تحومانِ
لا طيرَ. . .
كان الزجاجُ يئِنُّ
الهواءُ حبيسٌ كأنّ الكهوفَ القديمةَ قد صارت الكونَ.
مختنقاً كنتُ؛
فكّرْتُ أن رمادَ البراكينِ في عدَنٍ كان يتْبعُني.
الغابةُ، الآنَ، تبدو مشَوّشةً، لستُ أعرفُ أشجارَها،
والهواءُ الثقيلُ يُلَطِّخُ حتى لحاءَ الجذوعِ.
. . . .
. . . .
. . . .
لماذا لجأتُ إلى النافذةْ؟

لندن، ٢٠١٣/٠٩/١٧

إعادةُ نظَرٍ

ما مقامي بأرضِ لندنَ إلاّ كمقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ.
لستُ أعني هنا الإنجليزَ
اللهُ أدرى بأنهم أطعَموني
وأنهم آمَنوني. . .
قُلْ إذاً، كيف يستقيمُ مُقامي، كمقامِ المسيحِ بين اليهودِ؟
هل أقولُ الحقيقةَ؟
الحقَّ؟
. . . .
. . . .
. . . .
لم ألْقَ أوباشاً كقومي
(أنا أعني قومي العراقيّين في لندنَ)
الآنَ
هل بَلَّغْتُ؟
فَلْيُبْلِغِ الحاضرُ منكم، مَن غابَ. . .
إني الآنَ حُرٌّ. . .

ولن يعودَ مقامي كمقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ. . .
أنا حُرٌّ في أرضِ لندنَ
حُرٌّ
وبعيدٌ عن العراقِ البعيدِ، المبتلى بحُكْمِ القرودِ. . .

لندن، ١٩/ ٠٩/ ٢٠١٣

ضَباب

ضحىً باردٌ / دافيءٌ
والسياجُ الذي هو أقربُ من نصف مترٍ إليّ، بَدا غائماً
والصنوبرةُ اختفَتِ. . .
القطّةُ انتفشَتْ،
كان سِرْبٌ من الوزّ يمضي إلى الشرقِ:
قد يعبرُ، اليومَ، من قادسٍ، نحو إفريقيا.
في الضّبابِ تكونُ الأغاني مشوّشةً.
قلتُ: فَلأمْضِ نحو البحيرةِ!
قد أتلمّسُ في النبتِ والصمتِ، نبضَ الحياةِ التي لم تَحِنْ بَعْدُ. . .
ذاكَ النداءَ الذي ليس يُدْرَكُ،
تلكَ المسافةَ بين يدي والغِناءِ.
. . . .
. . . .
. . . .
انتبهتُ إلى أنني في مطارٍ
وأني سأمضي إلى نُزُلٍ عندَ إحدى الكنائسِ
أني سألقى، هنالكَ، في مدخلِ النُزْلِ، مَن كانت امرأتي.

أنني سأقولُ لها:
سننامُ، معاً، هذه الليلةَ!
اليومَ بردٌ
وأشعرُ أني وحيدٌ ومرتجفٌ...
والضّبابُ كثيفٌ.
وقد قلتِ لي أمسِ إنكِ في مدخل الـنُزْلِ
منذُ سنينَ...
....
....
....
البحيرةُ تبدو مشوّشةً في الضّباب.

لندن، ٢٤/٠٩/٢٠١٣

جُمودٌ

قالت ودادُ:
أُصَلِّي أن نكونَ على مَتْنِ الفراشِ
فَنعلو ثمَّ ننحدرُ. . .
كانت ودادُ تنادي من غُرَيفتِها بشرقِ برلينَ.
لكني، هنا، دبِقٌ في ليلِ لندن :َ
كان النوءُ ينحسرُ
والريحُ تخفُتُ
لا رعدٌ
ولا مطرُ. . .

لندن، ٢٠١٣/٠٩/٢٥

ماغْـنـولـيـا

لو أنني لم آتِ هذا الحيَّ، منذُ سنينَ عشرٍ
ما عرفتُ الجارةَ الخضراءَ، هذي. . .
وأقولُ: ماغْنولْيا!
لقد أحببتُ طَعماً للتغنُّجِ في اسمِ هذي الجارةِ، الخضراءِ طولَ العامِ.
أحياناً يغَطِّي الثلجُ حتى الأَرْزةَ العُظْمى
ولكنْ جارتي الخضراءُ تُعْلي قامةً خضراءَ. . .
ماغْنوليا!
أتعرفُ سِرَّ حبّي؟
سِرَّ حُبّي الجارةَ الخضراءَ؟
. . . .
. . . .
. . . .
قد أنْبَتُّها، بيدي!

لندن، ٢٧/٠٩/٢٠١٣

طريقٌ إلى حضرموت

أحسستُ أني الآنَ في عدَنٍ
وأني عند ساحلِ أبْيَنَ. . .
الأمواجُ ناعمةٌ
ويأتيني نسيمٌ باردٌ، وأقولُ: هل تأتي الدلافينُ؟
الهواءُ مُضمَّخٌ باليود والأملاحِ والأصدافِ. . .
من لَحْجٍ تهبُّ روائحُ البابايِ؛
صيّادونَ كانوا يمضغونَ القاتَ عند القاربِ المقلوبِ
تلتفُّ الشِّباكُ على بقايا من سراطينٍ وأعشابٍ،
وأسمعُ قائلاً: أتريدُ صَيداً؟
ثَمَّ شِيْحٌ
ثَمَّ فُلٌّ ناقعٌ بتَضّوُّعِ الفودكا.
. . . .
. . . .
. . . .
سأمضي، واثقَ الخطواتِ، منتشِياً
لأبلُغَ، بعدَ قَرْنٍ، حضرموت!

لندن، ٣٠/ ٠٩/ ٢٠١٣

قلعة ألْسِنور (قلعة هاملِتْ)

سوف ينجابُ عنكِ العَماءُ. الغيومُ التي حُمِّلَتْ ثبَجاً من بحارِ الشمالِ
سترحلُ، بعد قليلٍ، جنوباً. سيشربُ زيتونُ قادسَ منها. وقد تقطعُ البحرَ
قاصدةً رملَ إفريقيا. . .
كلُّ ما يجعلُ الكونَ أقربَ قد يختفي بغتةً. حولكِ الخندقُ اختنَقَ. الشمسُ
أسطورةٌ. نحن نقرأُ أسرارَها وحرارتَها في كتابِ الأساطيرِ. لا بأسَ!
والبحرُ؟
تلك الصخورُ التي تتلاطمُ، كالموجِ. . .
من ههنا، كان هاملِتُ يُبْحِرُ.
من ههنا
قيلَ للملِكِ الإنجليزيّ: تقتلُ هاملِتَ.
لكنّ هذا القتيلَ استوى قاتلاً. . .
يدخلُ البردُ في الدمِ
والقاعةُ الملَكيّةُ تدخلُ في الدمِ

والسُلَّمُ المختفي في دمِ المسرحيةِ ينفتحُ الآنَ
لي. . .
سوف أدخلُ:
أرقى، وأرقى، إلى أن أرى الملِكَ الشبَحَ.
الحارسُ المتثائبُ يلمحُ خُصلةَ شَعرٍ،
يرى الليلَ أشقرَ.
أرقى
وأرقى
وفي مثلِ ما تتخاطَفُ في الـجُرْفِ تلكَ النوارسُ
أبصرتُ هاملِتَ. . .
مرتعداً كان من هولِ عينَي أبيهِ.
ويهمسُ:
سجنٌ هي الدانيمارك!

لندن، ٢/١١/٢٠١٣

عيشة بنت الباشا

طِلْعَت الشُمّيسهْ
على شَعَرْ عيشهْ
عبشه بنت الباشا
تِلْعَبْ بالخرْخاشةْ!

*

لَكأنّ عائشةَ الجميلةَ تستجيرُ. تقولُ لي: سعدي!
أوَلستَ مَن يهوى الجميلاتِ؟ الحرائرَ... والصبايا؟
كيفَ تخذلُني، إذاً؟
أنتَ العليمُ بأنني، بنتٌ لتاسعةٍ، وأني كنتُ ألعبُ بالدُّمى.
لكنهم جاؤوا
وقالوا: ثَمَّ تطْريةٌ لوجهِكِ...
(كان وجهي وجهَ طفلتكم، وليس من معنىً لتطريةٍ...)
أجابوني:
النبيُّ أرادكِ!

*

طِلْعَت الشمّيسةْ
على شعَر عَيشة

عيشة بنت الباشا
تلعبْ بالخرخاشة

*

وعائشةُ، الحـُمَيراءُ. . .
الجميلةُ مثل إيرلنديّةٍ، والشَّعْرُ أحمرُ.
يا عطاَء الله!
كان محمّدٌ، ما بين رُكعته، وتالي رُكعةٍ، ينوي يُباشرُها
وأحياناً يرى ما بين ساقَيها، صلاةً. . .
هكذا
ذاقتْ عُسَيلَتَهُ
وذاقَ محمدٌ، دبِقاً، عُسَيلَتَها. . .
هيَ مَنْ هيَ: الـحَوّاءُ
عائشةُ الحـُمَيراءُ،
الجميلةُ مثل إيرلنديّةٍ. . .
صنمُ النبيّ!

*

طِلْعَت الشمّيسة
على شَعَر عيشة
عيشة بنت الباشا
تلعبْ بالخرخاشة. . .

*

لكنّ عائشةَ الجميلةَ، سوفُ تُعْلي أن ناعمَ شَعرِها سيظلُّ أحمرَ
سوف تُعْلِنُ أنها، أبداً، محاربةٌ. . .
لقد قهرتْ نبيّاً في السريرِ
وهاهي ذي، على جملٍ، تقاتلُ.
إنّ عائشةَ الـحُـميراءَ
النبيّةُ
بعدَ أن ذهبَ الذكورُ الأنبياءُ إلى الهباء. . .

❊

طِلعت الشمّيسة
على شعَر عَيشةْ
عيشة بنت الباشا
تِلْعَبْ بالخرخاشة!

لندن، ٢٠١٣/١١/١٦

المحتويات